حكاية البحر

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: حكاية البحر
اسم المؤلف: حبيبة الكردي
التدقيق اللغوي: خلود أحمد
تصميم الغلاف: محمد دربالة
الإخراج الداخلي: خالد محمود
رقم الإيداع: ٢١٤١٥ / ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٩٣-٨-٥



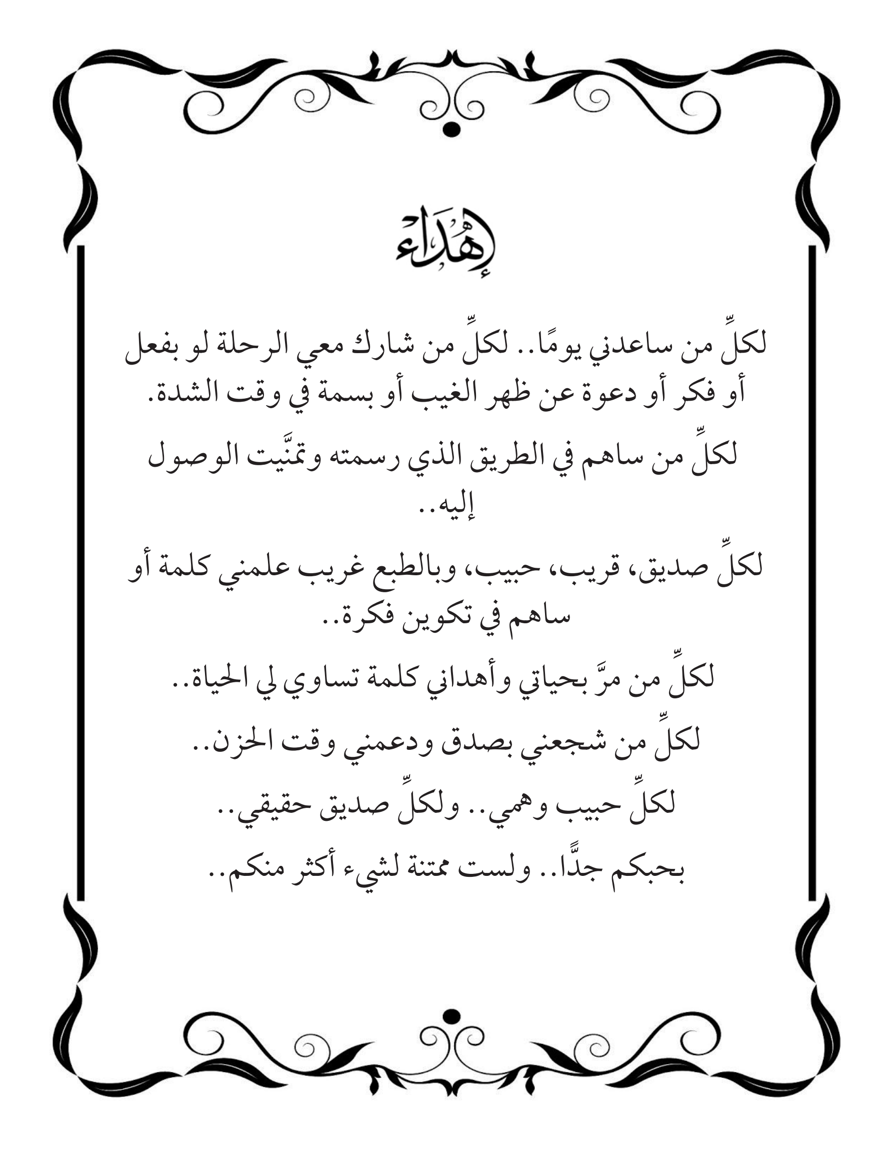

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

حكاية البحر





إِهْدَاء

لكلِّ من ساعدني يومًا.. لكلِّ من شارك معي الرحلة لو بفعل أو فكر أو دعوة عن ظهر الغيب أو بسمة في وقت الشدة.

لكلِّ من ساهم في الطريق الذي رسمته وتمنَّيت الوصول إليه..

لكلِّ صديق، قريب، حبيب، وبالطبع غريب علمني كلمة أو ساهم في تكوين فكرة..

لكلِّ من مرَّ بحياتي وأهداني كلمة تساوي لي الحياة..

لكلِّ من شجعني بصدق ودعمني وقت الحزن..

لكلِّ حبيب وهمي.. ولكلِّ صديق حقيقي..

بحبكم جدًّا.. ولست ممتنة لشيء أكثر منكم..

حكايتنا.. حكاية بحر.

حكاية دنيا بحلوها و مُرَّها، من البداية اللي مهياش بداية للنهاية اللي ما لها نهاية..

بنت فريدة روحها حلوة بتحب حياتها وبتحب البحر..

الموج حادفها لشط فارس وهو اصطادها..

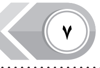
كانت بالنسباله عروسة البحر و هو كان بالنسبلها فارس البحر..

شافوا بعض في شط هي بتشتغل فيه بترقص على موجه وهو كان حرسه..

من أول يوم شافوا بعض فيه و هو حس باللي هيحصل.. بس هي اتفاجأت من امتى البحر بيبعت فرسان..

حبها وحبته وفجأها بقوته وهي فاجئته بفرحتها بلهفتها عليه..

قالها كلام عشاق بس هي من النوع اللي مش بيفرق معاه



الكلام، أم غير الطريقة قالها أنتِ عروسة بعتها البحر ليا وأنا قابل وعايز مهما كان المقابل..

قالتله أنت مخبول عروسة بحر إيه اللي أنت بتتكلم عنها أنا فريدة حسن أنا مش عروسة بحر.

لا عروسة بحر شبهُه في كل حاجة ضحكتك هادية زي موجه شكلك حلو زي شكله شعرك طويل زي عمقه عنيكِ حلوين ونفس لونه.

محتجالك فارس يكون جمبك و معاكِ يسعدك ويسعد بيكِ جربي مش هتخسري حاجة..

وافقت و خدوا مع بعض عهد إنهم يفضلوا سوا مهما الدنيا بعدتهم و الموج فرقهم.

اتجوزوا و فرحوا وعاشوا مع بعض أحلى أيام حياتهم وخلفوا يونس وكان الفارس يروح يحارب ويسيب حبيبته مع ابنه لغاية مايرجع..

بس في يوم الموج عيلي ومقدرش الفارس عليه و راح

مرجعش..

لغاية ماعرفت فريدة الحكاية وإن فارس خلاص خلصت حكايته معاها..

زعلت وتعبت وقعدت كتير تعبانة لغاية ما فاقت و عرفت إن الدنيا عمرها ما تدوم حلوة وإن الحكاية ليها مشاكل..

وإن فارس مخلصتش حكايته معاها بالعكس ده سابلها حكاية صغيرة لسة بتبتدي.

قامت من النوم وهي مكررة إن يونس هيكون أحسن الناس.. هتكون له أم و أب وسند و هتعلمه يكون فارس بجد.

و تخلص الحكاية بحكاية جديدة..

بيونس الفارس يروح البحر ويلاقي عروسته...

عروسة البحر.

أغسطس ٢٠١٨



(١)

"عند كل بداية للتغيير يكون أمامك خياران...

أن تذهب لتغير حياتك.. أو باختصار..

تظل ساكنًا حتى النهاية."

في تمام الساعة السادسة والربع خرجت من البيت متسرعة لتأخرها كالعادة عن موعد ذهابها للعمل، لكن الموعد اليوم مختلف.. فهي اليوم مع موعد تحقيق حلمها..

فاليوم أول أيام عملها كمصممة رقصات في أحد المراكز التعليمية في مدينة السلام.. المدينة التي لم تتمنَّ يومًا إلا أن تعيش لفترة بداخلها، اليوم سوف تحتضنها أخيرًا كأحد العاملين فيها لترقص فوق موجها الهادئ.

ركبت سيارتها على عاجلة، لا تود أن تتأخر عن أول يوم عمل، سيارتها صغيرة تتمتع باللون الأحمر، قالت فريدة عن شرائها للسيارة إنها ليست من محبين هذا اللون، ولكن لم تستطع منع نفسها من شراء هذه السيارة بالذات، وأنا أعتقد أنها لم تجد غيرها من الألوان وتحججت بهذا الحديث.

بدأت الطريق على مهل، فهي بالرغم من سرعتها في اتخاذ القرارات أو شراء الأشياء مثل هذه السيارة حمراء اللون إلا أنها تخاف من السرعة وتفضل الحرص خاصةَ على طرق

السفر.

حينها رأت سيارة سوداء كبيرة على الأقل تتعدى ال ١٢٠ كيلومتر إن لم تبالغ، مرَّت أمامها مسرعة مخترقة جميع السيارات المجاورة حتى اختفت عن الرؤية.

***

بالطبع السيارة المسرعة هي سيارة فارس..

فارس البحر...

ضابط في القوات الصاعقة المصرية ذو النسر والنجمة على الكتف، معتاد على القيادة السريعة وعلى تسلسل الحياة السريع بشكل عام بسبب أسلوب حياته وحتى قبل الخدمة، لم يعتاد على الروتين ولا الهدوء بأي شكل من أشكاله ولم ينجذب إليه قط.

إن سرعته في القيادة وما أحدثكم عنه لا يعني أنه الشاب المنفلت الذي يذهب ويأخذ حبيبته من حياتها الهادئة المملة إلى حياة الصخب والجنون، لا هذا ليس فارسًا.

فارس شاب بسيط بالرغم من نشأته في أسرة ظروفها المادية أعلى من المتوسط، فإنه وُلِد في حي الزمالك شارع الشربتلي المعروف.

حياته كانت تتلخص في الذهاب لمدرسة بورسعيد يوميًا بمساعدة السائق بالرغم من قرب المسافة، وفي نهاية الأسبوع إلى نادي الجزيرة المحبب له وبالطبع بمساعدة سائق العائلة.

لم يرحب فارس بهذه الطريقة الذي أرادت أمه زرعها فيه، فقرر وهو في الصف الثاني الإعدادي أنه لم يعد يذهب للمدرسة بالسائق مجددًا ولا إلى النادي.

رأى البعض أن هذا مجرد تمرد طفل يريد أن يشعر بأنه كبير ومسؤول أو أنه لا يريد أحدًا من زملائه أن يتنمر عليه، ولكن هذا الفعل لفارس بمثابة تمرد عن حياة أمه.. تمرده عن عجرفتها وحبها للمظاهر والاهتمام بالشكل الخارجي للأسرة أكثر من اهتمامها بالأسرة ذات نفسها.

مع مرور الأعوام لم يحظَ فارس بعلاقة طبيعية مع أمه،

دخل كلية الصاعقة لحبه لها، ولم ترفض الأم إيمانًا منها بأن ابنها ضابط الجيش سيكمل الصورة الاجتماعية للأسرة.

عقب تخرجه طلب الذهاب للخدمة في جنوب سيناء لعمل هناك وها هو ذاك، ففي آخر كمين في نفق شرم الشيخ ذهب لاستلام خدمته وعند وصوله لغرفته كان محمود العسكري ينظف الغرفة.

- أهلًا يا فارس باشا ازاي ساعتك؟!

- الحمد لله يا محمود، تسلم إيدك أنت عامل ايه؟

- الحمد لله يا فارس بيه عايشين بحسك، أنا خلصت المكتب أهو خلاص.

- تسلم يا محمود، و النبي روح هات لنا فطار كدة ظبطنا خلينا نعرف نشتغل.

- حاضر يا باشا أنت تؤمر.

وبعد خروج محمود دخل "علي"، صديقه من أيام الكلية.. شاب في أوائل الثلاثينات.. نحيف.. ذو النجمة

على الأكتاف.

- أهلًا يا فارس بيه وحشتني والله.

- وحشتك إيه احنا كنا مظبطين اجازتنا سوا.

- يا عم أنا غلطان، برحب بيك.

- يا عم روح مكتبك امشي.

- يا عم أنا غلطان بقولك وهو يعني أنا مكتبي في آخر الدنيا ده في وشك.

- بقولك إيه يا فارس احنا مش هنفطر ولا إيه؟!

- متسبنيش و تمشي هتاكل معايا ولا أكل أنا؟

- أنا قلت لمحمود يجيبه أصلًا اقفل بقك شوية وهتلاقيه داخل علينا دلوقتي.

- هو ده الكلام.

وبالرغم من وجودهم يوميًا معًا لكن هذا لم يمنع من استكمال الأحاديث التي لم تنتهي بينهم حتى أتى العسكري بالفطور.

- هو ده الكلام يا عم محمود.

- تسلم إيدك يا محمود ياعسل.

- تسلم يا فارس باشا بالهنا.

- الله يخليك، تعالي افطر معانا.

يقول محمود وهو في طريقه للباب:

- سابقتكوا يا علي بيه، تشكر.

- خد بس.

- بألف هنا يا باشا.

- ياه فطار محمود وحشني والله.

- أنت هتقول فيها ادينا قاعدين لغاية الأجزاء الجاية، عشان تبقى تشبع منه براحتك.

***

أول يوم مدرسة، ومع وجود عدد كبير من الأطفال وعدد أكبر من الأهالي بجوار أولادهم، في مدرسة صغيرة

مكونة من طابقين وفناء صغير مقسم لملاعب ويزينه بعض الدكك على الجانبين دخل الفارس الصغير...

يونس.. يمسك بكلتا يديه يدي والديه.

عندما تنظر من بعيد تعتقد بأنهم ممسكين بيده من باب الدعم، ولكن عندما تقترب ستجد أنهم متمسكين بيده يشدوه لدخول المدرسة وهو يبكي بقوة حتى الدخول والجلوس في الفصل وهو مُصر كل الإصرار ألا يتركوه وحده.

- ماما ماما.. هو الولد ده بيعيط كده ليه؟

- خايف يا حبيبتي.

على الجانب الآخر من الفصل كانت تمكث بسمة جالسة في مقعدها في هدوء وثقة والحماس يملأها ويقف والدها يصورها بملابس المدرسة الجديدة بلونها البنفسجي.

- اضحكِ يا حبيبتي عشان اصورك.

لتعتدل بسمة في جلستها وتبتسم ملء شفتيها الصغيرة.

- شايف البنت اللي هناك دي مش بتعيط ازاي، اعمل زيها كده متخافش.

- انهي واحدة ديه يا ماما؟

قال فارس وهو يشاور بهدوء..

- اللي هناك دي يا يونس.

نظر لها يونس و حاول الهدوء قليلًا مثلها، وحين هدأ خرج والداه ليتركوه في حياته الجديدة.

- خلاص بقا متعيطيش، أنت بتعيط كده ليه؟

لينظر إليها يونس متعجبًا من قوة شخصيتها رغم صغر سنها.

***

حين اتجهت للخارج لكي أباشر عملي رأيت فتاة تبدو في منتصف العشرينيات ذات شعر طويل يميل إلى الأشقر ترتدي ملابس بيضاء، تقف بجانب سيارتها الصغيرة ويتحدث إليها أحد العساكر.

- أيوة حضرتك ما أنا وريتك كل الرخص و البطايق.

- وريتيني إيه يا أستاذة، أنتِ وريتيني رخصك على التليفون وده ينفع؟

- طيب ما أنا نسيتها وكلمتهم في البيت وصوروهولي ووريتك الصور أهو و البيانات اللي فيها.

- الكلام ده مينفعش.

- إيه.. في إيه يا محمد؟

- يا فارس بيه الآنسة معهاش الرخص وبتقولي منا وريتك صورها على التليفون.

- حضرتك أنا قولتله أنا نسيت رخصتي في البيت، إنما رخصة العربية وبطاقتي معايا وكلمت أهلي يصوروهالي ويبعتوهالي.

- أعمل إيه طيب؟

عندما نظر إليها شعر وكأنه ينظر للبحر..لم يستطع التفرقة بينه وبين زرقة عينيها، دخلت على قلبه كموجة عاصفة، لم

يجرؤ أحد على فعل هذا معه من قبل.

ومن هزم في سنوات رجال وأعداء.. هزم اليوم بنظرة منها في ثوانٍ معدودة.

نظر إليها نظرة طويلة.. نظرة بآلاف المعاني.. بالرغم من عدم استطاعته لمعرفة ولا حتى معنى واحد.

- حضرتك معايا ولا إيه؟

- أيوة أيوة معاكِ، روح أنت يا محمد، هات الحاجات دي وروح.

- هو أنتِ رايحة شرم سياحة ولا شغل؟

- لا شغل.

- رايحة تشتغلي إيه؟

- راقصة في شرم الشيخ.

- راقصة ازاي يعني؟

- نعم؟!

- أنا choreographic، فاهم؟

- نعم؟!

- كمان أنا اقصد بتشتغلي إيه في سنتر إيه ولا أوتيل إيه؟

- هو إيه كل الأسئلة ديه؟

- أنا بعمل شغلي على فكرة.

نظرت للأرض و لم تنظر إليه.

- أنتِ عديتِ ازاي من الكماين اللي قبل كده؟!

- بصراحة مخدوش بالهم إنها مش معايا.

ضحك من بلاهة الرد.

- طيب أنا هعمل إيه دلوقتي؟

- هتعملي إيه؟

- خدي حجاتك أهو وامشي.

- إيه بجد! تمام شكرًا.

- أنتِ مقولتليش شغالة فين بردو؟!

- في سنتر جديد اسمه دانس كوينز جنب خليج نعمة.

- وهتقيمي فين؟

تمهلت في الرد وبعده بادرت قائله في فندق في خليج نعمة.

- ماشي اتفضلي.

❋❋❋

اعترفت فريدة بداخلها أن بالرغم من بلاهة الموقف ونسيانها أوراق هامة كهذه أثناء السفر إلا أنه نال اعجابها، فهو وسيم طويل لديه شارب ولحية خفيفة ولونه أسمر مثال للضابط المعتاد المتواجد في الصحراء أغلب الوقت.

❋❋❋

- مالك يا بحر باشا مين مزعلك؟

- في إيه يا معلم مالك؟

- يا عم سيبني في حالي.

فقال علي بلهجة مزاح لا يروق إليها الفارس..

- يا علي سبني في حالي!

- في إيه يا فارس مالك يا واد؟

- مفيش، بفكر بس مروحش معاكوا الجونة الأجازة الجايه.

- أنت بتقول إيه.. ده أنت اللي حاجز؟ كمان احنا فين والأجازة فين؟

- ماشي أنا بس بقولك عشان تبقوا عاملين حسابكوا.

- أيوا يعني اشمعنا، إيه اللي طلعها في دماغك كده؟!

- بفكر ارجع شرم.

- شرم تاني؟ يا بني أنت مزهقتش من شرم اللي مش بتروح غيرها دي؟

تظاهر فارس بالانشغال أملًا في أن يصمت علي..

- يا سيدي و أنا مالي انشالله تعيش هناك على طول.



كانت فريدة تتمتع بمذاق قهوتها في غرفتها في الفندق بعد مرور الأيام السابقة بنجاح في عملها و تتحدث مع صديقتها في التليفون.

- إيه يا فريدة احكيلي عملتِ إيه في الفترة الي فاتت متكلمناش من ساعة ما سافرتِ تقريبًا؟

- الحمد لله، كل حاجة ماشية كويس وأنا حاسة إني هطير من الفرحة.

- الله طيب حلو اوي يا فيري congrats

- انا بجد مبسوطة اوي

- الحمد لله يا حبيبتي god bless

- انتِ عاملة ايه؟

- all good الحمد لله كلو كويس، علي هيعدي عليا انهاردة نزلين

- ثانية واحدة الباب بيرن هشوف مين ولا اقولك هكلمك تاني

Okay bae, bye

ذهبت فريدة فور انتهاء المكالمة اتجاه الباب.

- ايه ده؟
- ازيك
- هو ايه ده اللى زيك، انت ايه الي جابك هنا؟
- جي اطمن عليكي
- تطمن عليا، وهو طبيعي ان الضباط في الكماين بيروحو يطمنو على الناس في بيتهم ؟
- لا طبعاً

نظرت له متعجبة

- اومال انت ايه الي جابك هنا؟
- شوفي انتِ ظلمتني ازاي
- انا جي اديكي دول.
- ايه دول؟

- انتِ عامية ولا ايه؟
- دول رخصك.
- وانت جبتها ازاي، جبتهم من عندي في البيت؟
- بيت ايه الي جبتهم منه يا بنتي انا ضابط، طلعطلك بدل.
- اه يبقا مسمكش ضابط بقا يبقا اسمك نصاب.
- نصاب؟!
- ايوة نصاب، مش استخدمت سلطات وضفتك عشان تخدمني يبقى نصاب.
- تصدقي صح انا غلطان، هتيهم خلاص.
- خلاص خلاص يا سيدي شكراً
- ايوة كده.
- بس قولي صحيح انت عملت كده ليه؟
- نعم؟!

- ايه؟
- انتِ عبيطة ولا ايه؟
- مين دي الي عبيطة؟
- تصدق انا غلطانة اني وقفة بتكلم معاك.

و دفعت الباب في وجهة، أغلقته.

***

بعد مرور حوالي شهر...

- يا بنتي خناتيني من الصبح ما تبطلي كلام شويه بقى.
- والله العظيم! انت جايبني معاكي غصب و كمان مش عايزنى اتكلم.
- ولا غصب ولاحاجة دي قعدت صحاب عادي مفيهاش حاجه و كمان انت بقالك كتير مشوفتهوش و ما صدقنا خد أجازة.

- على فكره يا مريم احنا لسه شايفين الاستاذ علي بتاعك ده امبارح، وثانياً بقى أنت جايبالي عريس في القاعدة دي متستهبليش.

- انت عرفتي ازاي؟

- صاحبتي و عرفها انت من امتى اصلاً وانت بتحبي صحاب علي لدرجه انك تنزلينا معاهم.

- نينيني، ماشي يا ناصحة، اسكتي بقى وعدي اليوم.

***

كان علي وفارس في انتظرهم في المكان المحدد بعدم دراية فارس بما يجري من أحداث فقد قال له صديقه أنهم ذاهبون لمقابلة مريم وصديقتها.

- ايه يا عم الجو البلدي ده جيبلي عروسة.

- يا حضرة الضابط ما انت بقالك فترة كدة مش مضبط فقلت تشوفها يمكن تعجبك، دي بنت لطيفة جداً و صاحبة مريم من زمان كنت عايز اورهالك من زمان بس

انت الي مش بتنزل معنا خالص

- خلاص يا عم بقى بطل تقدرني انت عارف انا مش بحب انزل

- ماشي خلاص، استنى بقى لما احكيلك عليها مريم كلمتني وقالتلي ان هما في الطريق

- ماشي انجز

- اسمها فريدة بس مش فاكر فريدة ايه بصراحة عندها خمسة و عشرين سنة تقريباً زي مريم يعني، بنت ناس وصافرة كده، شغاله كمان في شرم الشيخ جمبنا

نظر اليها فارس غير مصدق و اكمل علي في لا مبالاة

- تقريباً بتشتغل مدربه ايروبكس او حاجه كده

- احلف!

- اه والله مريم قالتلي ايه! choreographic تقريباً انا مش فاكر

- انا مش مصدق

قالها فارس في سعادة شديدة لم يجد علي لها تفسير

***

- ايه البواخه الي عملتها صحبتك دي موقف ملوش اى ستين لازمة، يعني احنا نجبلها الراجل لغاية عندها و هي تسبنا وتمشي ذي العيال، واصل جالي مشوار مهم ، اصلي افتكرته فجأة و كنت نسياه.

- انا مش عارفة بصراحة هيا عملت كده ليه، بس انت عارف فريدة و دماغها

- اي كلام، انا اجبلها الراجل لغاية عندها وهي تعمل كده، اخر مرة تقوليلي نخدم صحبتك دي في حاجة.

- خلاص بقا انت مكبر الموضوع مش مهم.

- يا شيخة بقى.

- هو انت بتعمل ايه يا حبيبي؟

- اية؟ ما بعملش حاجة.

- علي أنت مش حاسس انك متغير الفترة دي؟

- متغير إزاي يعني؟
- متغير ازاي، انت بجد مش عارف انت متغير ازاي؟
- Unbelievable يا علي مش حاسس ان في حاجة متغيرة ما بنا!
- حاجة ايه الي متغيرة؟
- علي أنت كل حاجة فيك متغيرة.. كل حاجة
- مريم اقعدي على جنب دلوقتى انا مش فايقلك ونبي
- والله على فكرة اخر مرة هنزل معاك نلعب الزفت ده، انت اصلاً بتلعب لوحدك

***

- يعني ينفع الحصل ده؟

(قالها صوت فارس في أحد ممرات الفندق فانفزعت)

- استناكي كل ده، ونظر على الساعة في يده
- ينفع كده؟

- ومجتليش على السنتر ليه طالما انت فالح اوي كده؟
- عشان لو عايزة تغيري قبل ما نروح تلحقي تغيري
- نروح فين
- يابنتي انجزي هنتاخر
- نتاخر على ايه؟
- على الحفلة، وائل جسار عامل حفلة هنا انجزى بقى عشان نروح
- ده بجد؟! طيب ثانية وهلبس، وأنا اقول انت متشيك كده ليه

***

تحت إحدى عمارات ميدان الأسماعلية كان الضابط الوسيم ذات العينين البنيتين في انتظار مريم والصبر ينفذ منه رويداً رويداً

- مساء الخير يا حبيبي
- ايه يا مريم كل ده، انجزي اقفلي الباب

- مساء الخير يا عمري

ابتسم علي في سكوت يحاول إخفاء ضعف إرادته في النكد أمام عينيها الساحرة.

- ايه يا رووحي قولي مساء الخير طيب

في نفاد صبر قال: مساء الخير يا مريم مساء الخير

- على فكرة دي مش طريقة عيد حب ابداً، ولا الاحمر مش مالي عينك ولا ايه؟

ليضحك علي بدوره و لكن بخفة

تخبط مريم على كتف علي بمزاح

- استنى جيبالك هدية

- هدية ايه؟

- هدية ايه! هو النهارده مش الفلانتين باين ولا ايه؟

- امسك

قام علي بفتح الهدية ليجد معطف أبيض مكتوب على

أحد أكمامه

When you wear this, I will always be with you.

A warm hug made of cloth.

I love you.

عندما ترتدي هذا سأكون دئماً معك.

حضن دافيء مصنوع من الملابس.

احبك.

- اوه، لا ده شغل عالي ده

- لا عيب عليك بس من الواضح كده انك مجبتليش حاجة

- بنت عيب، امسكي

- احلف جبتلي هدية!

فتحت علبة كبيرة حمراء لتجد بداخلها انواع كثيرة من

الشكولاتة، و سلسلة مصنوعة من الذهب منقوشًا عليها اسمها

- تحفة يا حبيبي بجد تجنن، ربنا يخليك ليا يا عمري بجد
- ويخليكي ليا يا حبيبتي

***

على النحو الآخر كان الفارس منتظر عروسته خارج باب الفندق بجوار الهارلي خصته

- أنا مش فاهم يعني ايه افضل استناكي كل ده؟
- أنتِ اتاخرت كده ليه؟
- أنا اصلاً ماكنتش هاجي احمد ربنا
- مكنيتش هاتيجي والحفلة

لم يجد منها ردًا فأكمل :

- يالا اركبي اتاخرنا
- أنت مين قلك اصلاً اني هركب البتاع ده؟

- البتاع ده؟!
- طيب بص انا ممكن اركبه بس لوحدي
- لوحدك! وانا روحت فين

ضحكت واكملت قصدي يعني ممكن اجربه

- عشان خاطري والله اوعدك هعرف

نظر لها نظرة طويلة تعكس ما بداخله

- طيب خلي بالك

تحمست فريدة للفكرة بشدة وساعدها فارس على الركوب وراح يفهمها ماذا عليها فعله.

متخافيش.

اهم حاجة تفرد ضهرك اوى و كأنك هتوصلي بيه للسماء، متخافيش حسي بالهواء أوي.. بحلوته.. بحريته.. بقوته.

صحبيه و حبيه، حسي بيه بيلمس جلدك، بيطيرك، بيهزر معاكي.

اكنه من جواكي.

اكنه كل كلمه لا كان نفسك تقوليها و معرفتيش، كل دمعه مسكتيها جواكي و اتكسفتي تنزل عشان قدام الناس.

كل كلمة بحبك مقولتهاش عشان كبريائك.

اعتبري نفسك رايحة مكان بره الدنيا، مكان ليكي لوحدك، مكان برة كل الهموم والنكد.

عيشي كأنك أخر لحظة في عمرك..

استمعت فريدة لكلام فارس بكل تركيز ثم انطلقت مسرعة والهواء يداعب كل ذرة فيها، لم تشعر بهذه الحرية من قبل.

واثناء استمتاعه بكل ما يحدث ومحاولتها للقيادة سقطت على رمال أحد الشواطئ لترتمي بعيداً عنه وتسقط على الرمال فاردا جسدها على الشاطئ في هدوء وليكتمل المشهد بموجة تأتي تمازحها وتغطي جسدها..

كأن البحر هو سريرها والموج هو غطائها.

يفيق فارس من شروده وهو يتخيلها حورية من حوريات البحر و ينظر لساعته ويرى أنه انتظرها أكثر من ساعة كاملة ليراها اخيراً خارجة من الباب تجاهه

- ابة التأخير ده كله
- معلش عقبال ما اخت شور وكده
- ايه ده الله ممكن اجربه
- بقولك ايه اركبي انجزي
- خلاص خلاص متزقش، ايه الرومانسية دي؟

***

كانت فريدة تجلس في أحد المطاعم المفتوحة المطلة على شاطئ البحر ومن خلفها الجبال، واعتدال الطقس في هذا الوقت من السنة ساعدها علي الاستمتاع بفطورها الانجليزي المكون من البيض والبطاطس والمشروم ومزين ببعض الحبوب بجانب العيش التوست وفنجان من القهوة، لم يمنعها هذا الفطور من التفكير في غياب فارس عنها كل

هذه المدة.

وجودها في هذه المدينة كان حلم تُصبح على أمل تحقيقه يومياً.. ومع أول خطوة لها فيها تغيرت حياتها.. تناسيت كل ما مضى..

تذكرت الأفلام و حواديت الروايات فقط..

وظهور فارس في حياتها جعلها تشعر بـ آمل آخر يقترب وهذا الشعور جعلها تيقاً بأن هناك كثير من الحكايات التي لم تحكى بعد.

- صباح الفل
- ايه خضتني
- ايه ده انت بتتخضي بسرعة اوي
- ياسلام وهو في حد بيتخض ببطئ
- كمان انت ايه الي رماك نواحينا تاني؟
- رماك نوحينا، انتِ منين؟

لم تستطع فريدة منع نفسها من الضحك.

- طب ما احنا طلعنا بنضحك، وطلع عندنا سنان اهو؟

- طلع عندنا سنان! انت عايز ايه؟

- هكون عايز أيه يعني.. عايز أقرب ليكي.. حاسس ان هيكون ما بينا حاجة حلوة

- ايه ده؟

- بصي بصراحة يعني، اصل أنا لمحت كتير وعمال اطلعلك كل شوية كده وانت ولا فاهمة حاجة فواضح يعني ان البعيدة هبلة فقلت اجيب من الاخر.

ضحكت فريدة هذه المرة بلا خجل

- بس متقولش بعيدة

- الله، بجد؟

- ايوة

- بجد بجد يعني

- خلاص بقى

- خلاص ياستي انا غلطان، ايه الهبل الي انتي بتكليه ده بقى

(٢)

"أنا كنت بقول إن أنا شايفاه أكتر منهم..

حتى بقلقه وصمته وغيرته... حتى بطبعه الصلب القاسي..

شايفاه ناسي..

حباه بعيوبه وقابلاها... في حتة منورة مش باينة إنما شايفاها..

وهيتغير لو قابل واحدة تكون بيته..

آه حبيته... والعقل ملوش في الحب نصيب."

"عمرو حسن"

أثناء وقت الغروب الساحر في أحد مقاهي حي الكوربة، كانت الصديقتان المقربتان يجلسان لتناول الغداء في الساحة الهاوية في أحد المقاهي المفضلة لديهم.

- طيب وبعدين؟

- وبعدين إيه أنتِ عايزة إيه يا فريدة؟

- متستهبليش أنتِ عارفة أنا قصدي إيه؟!

- جميلة الهدية تحفة، زي مية هدية غيرها، ها بقى وبعدين؟

- معرفش يا فريدة معرفش أنا قولتلك لما باجي افتح موضوع الجواز مش بحسه بيعمل حاجة، ومش عايزة ارمي نفسي.

- ترمي نفسك! أنتِ عبيطة؟ يعني انتوا هتفضلوا كده؟

- معرفش يا فريدة بقى مالكيش دعوة أصلًا.

- ماليش دعوة! تصدقي أنا غلطانة، بس افتكري كلامي

أنا حاسة إن الواد ده مش تمام.

- واد! ده ظابط على فكرة.

- نينيني ده ظابط على فكرة، اتنيلي.

- اييي.

- كل شوية تزعلي منه وتتخانقوا وبرضو تعملي اللي في دماغك وترجعيله.

- وأنتِ إيه مشكلتك؟

- على فكرة علي المرادي اتغير بجد، وأنا وهو اتفقنا على كل حاجة المرادي.

- ياسلام، أنتِ بجد مصدقة؟

- أيوة مصدقة، إيه المشكلة؟

- المشكلة يا مريم إنك تضيعي وقتك وطاقتك معه، لا أنتِ تستاهلي كده ولا هو يستاهل ده أصلاً.

- متتكلميش كده عليه، علي بجد اتغير، كمان قولتلك مالكيش دعوة... احنا ربنا حطنا في طريق بعض... اتكاتبنا

لبعض يا ستي.. لو ربنا ماكنش كاتب لينا الخير، مكنش حطه في طريقي.

- أنتِ ليه مش فاهمة؟!

- مش فاهمة يا مريم.. مش فاهمة.

- مفيش حاجة اسمها ربنا حطنا في طريق بعض وطالما كده خلاص، ربنا مش بيحط في طريقنا بس الناس اللي يكملوا معانا ويسعدونا وبس.. ممكن يحط في طرقنا ناس وحشة تجرحنا أو تضرنا.. ناس تاخد مننا و متديش.. ناس أصلًا مش بتعرف تدي.. بتعرف تاخد وبس عشان ناخد درس من خلالهم أو نتعلم حاجة منهم.

التمسك مش دايماً صح.. ساعات كتير جدًّا بيكون مضر لينا قبل ما يكون مضر لأي حد تاني، اختاري نفسك... اختاري اللي يسعدك.. يحقق أحلامك ويحلم معاكِ، مش اللي يحقق أحلامه من خلالك.

اعرفي إنك أغلى وأكبر من كده بكتير.. تستاهلي حد أحسن من كده ميت مرة.. اختاري نفسك وحبيها اكتر من

أي حد، صدقيني لما تحبيها وتخليها أولوية محدش هيعرف ياخد منك.. محدش هيعرف يكسرك وساعتها بس... هتعرفي تختاري صح.

وبرضو هتقوليلي مليش دعوة، خلاص أنتِ حرة، اتفلقي، أنا بس عايزة اعرف أنتِ ليه بتعملي كده، فين المنطق في ده؟

مريم "علي" أناني...

قاطعتها مريم قبل أن تكمل وقالت وصوتها يعلوه الغضب:

- علي مش أناني... أنا عارفة إن مفيش منطق في ده.. أنا عارفة، بس زي ما بقولك كده...

ثم تحركت مريم في جلستها قليلًا وقالت بصيغة حازمة قوية:

- بس أنا بحبه وهو كمان بيحبني ويمكن أكتر، أنتوا بس اللي مش فاهمين وعنكوا ما فهمتوا أنتوا أحرار... وأنا كمان

حرة.

وقبل أن تأخذ فريدة دورها في الكلام قالت مريم بصوت أعلى مما سبق:

- وعلى فكرة علي بني آدم كويس... وأنا متأكدة من ده هتشوفي... هتشوفوا كلكوا.

- على فكرة أنتِ مش محتاجة كل العصبية ديه اهدي شوية! أنتِ حرة اعملي اللي أنتِ عايزاه.

زفرت مريم زفرة انتظار أخيرة لتهدأ بعدها وتكمل الحديث مع فريدة.

- احكيلي طيب بقى، عملتِ إيه مع سي فارس بتاعك؟

- والله!

طرقت مريم على كتفها.

- اخلصي بقى يالا.

-مفيش.

- أنا مش عارفة غالبًا صرف نظر، مرجعش يكلمني

تاني.

- إيه ده ليه؟

- معرفش هو حر بقى.

- طيب ما تحاولي تكلميه.

- أعتقد المفروض هو اللي يكلمني مش أنا.

***

- طيب وهتعمل إيه يا ذكي بعد ما قفلتها منك كده؟

قالها علي لفارس وهما يجلسان في الدورية.

- معرفش يا معلم أنا مكنتش ناوي إن ده اللي يحصل.. هشوف هتصرف ازاي، المهم أنت عامل إيه مع مريم؟

- الحمد لله كويسين.

- يابختك والله، حياتك سالكة.

- ما تسمي الله في قلبك يا بني.

ضحك فارس من طريقة علي في الكلام.

- يا عم متخفش انا عيني مش وحشة.

- إيه؟

- بقولك ما تخافش أنا عيني مش وحشة.

***

يوم متكرر عند فريدة في فترة العمل، استيقظت مبكرًا كعادتها وأحضرت المتوفر إليها من فطور صغير لحين يأتي الإفطار الجماعي في ساحة الطعام.

بيد ممسكة بالقهوة ويد أخرى ممسكة بطبق صغير يستند علية ثلاث قطع من البسكوت، قامت فريدة وهي ببيجامتها الصغيرة المكونة من قطعتين من اللون الأصفر، وأضافت إليها الروب الأبيض المائل إلى الرمادي لكي تستطيع الجلوس في البلكونة.

في أثناء تناول فريدة الفطور الصغير وتفكيرها المتكرر عن غياب فارس و شعورها بالتقصير في هذه العلاقة:

"ليه يا حبيبي ما بيننا دايماً بحور أعدي بحر ألاقي غيره

اتحفر."

وسمعت أثناء شرودها صوت دقات على باب الغرفة:

"ليه يا حبيبي ما بيننا دايماً سفر.. ده البعد ذنب كبير لا يُغتفر..

ليه يا حبيبي ما بيننا دايماً بحور أعدي بحر ألاقي غيره اتحفر..

عجبي."

بصوت فارس البحر.

- إيه ده؟!

- إيه اللي إيه ده! استني بس أنتِ إيه البيجامة دي؟ شكلك شبه الكتكوت.

- هيهيهي سخيف أوي.

وكأن كلامه جعلها تتذكر مظهرها غير المنمق.

- أنت إيه الي جابك هنا وإيه القصيدة دي عرفتها منين؟

- هو في حد ميعرفش صلاح جاهين ده أستاذ الكلام الموزون؟!

ثم مال عليها أكثر..

- لازم كل الحبايب يستعينوا بيًّا.

أرجعته للخلف بدورها وأكملت استفساراتها متسآلة:

- أنت إيه اللي جابك؟

ليقترب منها مرة أخرى..

- إيه اللي جابني؟ بذمتك موحشتكيش؟

نظرت له فريدة في شوق وسكوت.

- هو أنت تخنقني في صالة وتصالحني في أوضة؟!

ليقترب منها أكثر ويقول:

- مرغم عليك يا صُبح.

ابتسمت فريدة من لطافة حديثه وقفزت في مكانها:

- وحشتني أوي، أوووي.

ابتسم فارس ملء شفتيه.

- كمان هو أنا اللي بسبني وأمشي في أي مكان أول ما أزعل أو تحصل حاجة تضايقني.

سكتت فريدة في دورها، فعلم فارس أن عليه تغيير الحديث لكي لا تحدث مشكلة مرة أخرى.

- طيب يالا اقلعي هدوم بطوط دي وتعالي ننزل.

ضربته على كتفه في خفة وقالت:

- دي مش هدوم بطوط وكمان للأسف أنا عندي شغل.

- يووه، طيب خلاص.. ممكن ننزل بليل.

- مش هعرف.

- الله، ليه اشمعنا؟

- هو إيه اللي ليه هيكون عندي شغل.

نظر لها في صمت، نظرة تعجب لهذه الطريقة غير المفهومة.

يشعر فارس بغرابة من ناحية فريدة، فابرغم شعوره الدائم

بأنها تحتاج له وتريده بجانبها، الا أنه يشعر ايضًا بخوفها من هذا الاحتياج.. تحتاجه بشدة وتكون دائماً سعيدة وهم معًا ولكن في نفس الوقت لا تسمح له بالاقتراب منها أكثر، وتبتعد فور صدور أي فعل تجاهها و يتساءل بين نفسه كثيرًا - كيف يمكن ان يكون شخص في احتياجك لهذه الدرجة و يريد الابتعاد عنك لهذه الدرجة - ولا يجد إجابة.

***

وتمر الليالي وتجمعهم بعض الأيام وتقربهم من بعضهم البعض، وأيام أخرى ترفض فيها فريدة حتى الرد عليه إذا اتصل وتبتعد عنه بُعد الماء عن النار، لم يكن فارس يحب هذه الطريقة ولكن عندما كانت تعاود الإتصال به أو تقترب بأي نوع كان يصفو ويغفر لها، ومن بعدها تعاود الكره مرارًا وتكرارًا.

على شاطئ خليج قرش الذي يبعد من المركز الذي تعمل به فريدة بأمتار قليلة، كان الفارس يجلس في الوقت الذي يسبق غروب الشمس بدقائق معدودة ينتظر حبيبته

على مهل، يستحي قهوته مع قليل من التركيز والكثير من الشوق والانتظار.

اقتربت فريدة من بعد دخولها من باب الشاطئ ومرورها من أصدقائها لتسلم عليهم، ولم يكن فارس لاحظ وجودها، كان يجلس على أحد الكراسي الصغيرة الموضوعة أمام البحر بقميصه الأخضر الذي أصبح يرتديه كثيرًا مؤخرًا.

وعندما اقتربت فريدة من مجلسه وظلت تترقب في هدوء جسمه المنمق الجميل، وسواد شعره الذي يجعله يظهر مثل الفرسان القدامى على حق..

- إيه ده أنتِ هنا من امتى؟

اتجهت نحوه وجلست على الكرسي بجواره..

- لا بقالي حبه بحاول اعرف القميص الحلو ده جبته منين؟

- لا والله، بصراحة هو حلو.

وأمسك الياقة وتظاهر بترتيبها..

- بس أنا اللي محليه.

- يا راجل!

- أيوة طبعًا، المهم أنتِ عاملة إيه؟

- الحمد لله اتأخرت عليك؟

- وإيه الجديد؟

اعتدل فارس في جلسته وهمّ قائلًا:

- المهم..

قاطعته فريدة قبل أن يكمل :

- أنا عايزك في حاجة مهمة.

- إيه هي؟

- عايزاك تكلم علي و تهزقه وتمسح بكرامته الأرض و..

- اهدي اهدي ليه كل ده؟!

هحكيلك بس أنت لازم تتكلم معه.

***

كانت ست الحسن والجمال تجلس مع فارسها الهمام غير المقبل على الزواج في أحد مقاهي حي التجمع الخامس.

- إيه يا حبيبتي مش لابسة السلسلة الجديدة ليه؟

- للأسف مش هعرف البسها.

- ليه؟

- عشان هقول لماما وبابا إيه لو شافوها!

- ما تخبيها.

- لا مش هعرف.

- ما أنتِ كنتِ بتعرفي تعملي كده قبل كده ولا هو اشمعنى دلوَقتي؟ خلاص قوليلهم جبتيها لنفسك أو حد من صحابك جبهالك.

- واحنا هنفضل كده لحد امتى؟

- كده إيه؟

- هنفضل نجيب مليون طريقة عشان نخبي عليهم كده لحد امتى؟

لم يقدر إلا على بلع لسانه والتظاهر بالنظر في هاتفه، فلم تتحمل مريم هذه المرة طريقته برغم من اعتاديها عليها، ولكنها قررت التمرد في هذه اللحظة، استدارت إليه و قالت بصوت مرتفع جعل معظم من في المكان ينظروا إليهم:

- أنا زهقت، بجد زهقت.

- في إيه يا مريم وطي صوتك!

لم تستجيب لما قال وأكملت:

- علي أنا زهقت بجد أنا مش بهزر.. مش بقول أي كلام ولا بدلع عليك، أنا مش راضية اسمع كلام أي حد من صحابي كلهم.. كلهم بيقولوا إنك كداب وفاشل وأنا بقولهم لا وإنك كويس، لدرجة إني مبقتش بحكي عشان مسمعش رأيهم وعارفة إنهم كلهم بيقولوا عليا غبية.

أكملت بضعف..

- بس أنا مصدقاك.

ليعلو صوتها مرة أخرى وتغلبها الدموع..

- بس أنت متستاهلش.

أخرجت السلسة من الحقيبة وألقتها في وجهه، وغادرت والدموع منهمرة من عينيها الجميلة.

***

- وأنتوا ايه اللي وصلكوا لكده يا علي؟

بنفاذ صبر وكتمة غيظ واضحة قال:

- معرفش.. معرفش هي ليه مرة واحدة كده زعلت وانفجرت في وشي فجأة؟

- متعرفش! إيه يا علي أنت بتستهبل! بتحب البنت كل ده ومتصاحبين ومتعرفش هي زعلانة من إيه؟

- أنت ناوي تفضل هربان كده لغاية امتى؟

- مش مستعد يا صاحبي، متتهمنيش كده أنت المفروض صاحبي.

- صاحبك آه، بس اللي بتعمله ده مش صح يا علي وأنا مش هقف جنبك فيه.

كمان يعني إيه مش مستعد؟

- شوف نفسك يا فارس الأول وبعدين ابقى اتكلم.

- هي بقت كده يا صاحبي، بس على العموم أنا عمري ما قعدت مع بنت كل السنين ديه وأنا بقولها إني إن شاء الله هتجوزها وأنا مش ناوى اعمل كده، في الأول اتحججت بالكلية وأروح أخطبك وأنا لسه طالب! وبعدها عشان الظروف، لما أجيب بيت ولما اشتري عربية الأول و أهوه بتشتغل و معاك عربية و كله تمام مستني إيه تاني؟

- أيوة أنا لسه مجبتش بيت.

قال فارس وقد ظهرت على وجهه علامات نفاذ الصبر:

- ما تأجر يا علي هي قالتلك لا، متتلككش!

- مش بتلكك والله أنا بس مش مستعد قولتلكوا ميت مرة مش مسستعد.

- يعني إيه مش مستعد؟

- أنا لو مش عارف انت بتحب مريم قد إيه كنت قلت

إن مشكلتك مع مريم نفسها.

- أيوة بالظبط أنا مشكلتي مش مع مريم نفسها أنا مشكلتي في الجواز عمومًا.

- وإيه اللي في الجواز اللي عملك مشكلة؟

- يا بني الرسول صلَّ الله عليه وسلم..

وهمهم علي بالصلاة.

- "ثلاثة حق على الله عونهم: مجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، و الناكح يريد العفاف."

ناكح يريد العفاف يا صاحبي، افهم أنت في نعمة، وجود حد زي مريم في حياتك نعمة مضيعهاش.

- يا سيدي أنا فاهم بس مش مستعد لده، مش مستعد أكون مسؤول عن عيلة و بيت و كده، وربنا لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وأنا مش قادر دلوقتي.

- لو فضلت كده ولا عمرك هتقدر.

- فارس أنا بحب مريم وعارف إنها بتحبني، بس مش

متأكد هتفضل تحبني ولا لا.

- طيب فرضًا إن شكك ده حقيقي إيه اللي يخليك تتأكد؟

- مش عارف، أومال أنا جايلك ليه؟

- أنت جايلي يا علي عشان اقولك ازاي تصالحها، وهي لما تصالحك أنت مش هتفكر في موضوع الجواز تاني وهترجع زي الأول، وأنا لو عملت كده يا صاحبي ابقى بضرك مش بفيدك، أنا مش هقولك اعتبرها أختك والكلام ده، بس لو زعلها هين عليك واللي فارق معاك إنها ترجعلك وخلاص تبقى راجل أناني وأنت مش أناني يا صاحبي.

- يا صاحبي الستات ربنا ذكرهم في القرآن بالقوارير وأمرنا بالرفق عليهم، عارف ليه؟

- عشان الست مشاعرها رقيقة والحزن بيقلل من جمالها وبيضعفها.

- دول بيقولوا علميًا أن الحزن بيأثر على الغدد بتاعة هرمونات الأنوثة وبيخلي شعرهم يقع وصحتهم تضعف.

نظر علي لفارس باندهاش لما قاله للتو:

- هو الكلام ده كلامك؟

- لا طبعًا الكلام ده كلام فريدة هي كلمتني وحكتلي وزعلانة جدًّا منك ومش طيقاك، شكلها كده هي اللي سخنت مريم عليك.

التفت علي إليه..

- تفتكر؟

- ممكن، بس عمومًا أنت تستاهل.

***

لم نتحدث عن هوية مريم بعد..

في الحياة العملية، إنها معلمة لغة إنجليزية في أحد المدارس الأجنبية في التجمع الخامس، حيث تعرف عليها علي في أحد الأيام بجوار المدرسة.

وأما عن الجانب الشخصي، فهي تبدو للجميع من الخارج ساذجة أو مغلوبة على أمرها، ولكن ما لا يعرفه الجميع أن

بداخلها حياة..

صمتها لا يدل إلا على فكر.. طيبتها تعني حكمة وهدوء، وضحكاتها ما هي إلا قناع صغير تخفي بداخله الكثير...

الكثير من الحكايات التي مرَّت بها وألمتها، صمتها لا يدل إلا على حياة.. حياة بها الكثير، وأهم ما فيها أنها ليست مستسلمة، فهي لن تستسلم لإنهاء حياتها بسهولة.. الحب بالنسبة لها الحياة، وعلي يعني لها الحب...

بعد يوم شاق لمريم في المدرسة ذهبت لركوب السيارة واتخذت الطريق للمنزل وما زال ما دار بينها وبين فريدة يشغلها، وبالرغم من أنه بدا مقنعًا لفريدة لم يكن كافِ لإقناعها.

أنا كنت بقول إن أنا شايفاه أكتر منهم..

حتى بقلقه وصمته و غيرته... حتى بطبعه الصلب القاسي..

شايفاه ناسي..

حباه بعيوبه وقابلاها... في حته منورة مش باينة إنما شايفاها..

وهيتغير لو قابل واحدة تكون بيته..

آه حبيته..

والعقل ملوش في الحب نصيب..

وقررت مريم الاتصال بعلي لتخبره بأنهم عليهم الحديث سويًا وجهًا لوجه .

في أحد مقاهي شارع التسعين المزدحم جلست مريم تنتظر علي وكل ما بها ينبض بسرعة شديدة وترتجف أناملها لبرودة الطقس.

- ازيك يا مريم عاملة ايه، أنا اتأخرت؟

- لا متأخرتش أنا اللي جايه بدري.

جلس على الكرسي بجوارها ليصمت وينظر لعينها الجميلة، كيف له أن يترك هذا الجمال.. أين ذهب عقله وهو ينهزم لرحيلها؟ كان لا بد عليه أن يحارب أكثر، أن يتمسك

بأن يفعل ما تريد حتى وإن كلفه الأمر حريته.

يجلس علي وينظر لعينيها وهو بين أمرين، الأمر الأول أنه مشتاق حق الاشتياق، والأمر الثاني أنه يخاف هذا اليوم ليكون القرار إنهاء الحديث وانقطاع كل سبيل.

***

- ورجعتيله؟

- أيوة رجعتله فين المشكلة؟

- فين المشكلة! لا مفيش مشكلة خالص اتفلقي، أنتِ اللي هتلبسي.

- نينيني، ملكيش دعوة please.

كان الصديقتان يجلسان في الساحة الخارجية من صالات عرض السينما ينتظران رفاقهم وهم يشترون التذاكر.

- إيه يا حبيبتي بتقولوا إيه؟

- ولا حاجة يا حبيبي، فريدة بس بتطمن عليا.

وقام علي بوضع يده على مريم وفريدة تنظر إليهم

باندهاش غريب.

- آه، والنبي يا فريدة ابعدي عن مريم بلاش تطمني عليها خالص.

وضحكت مريم على كلام علي مما أثار اندهاشها أكثر..

- إيه يا حبي مالك في إيه كنتِ بتبصيلهم كده ليه؟

- أنت مش شايف أنا مش مصدقة إنها رجعتله تاني.

- الحب بقى، كمان الواد شكله هيتغير المرة دي.

- يا سلام وأنت إيه اللي مخليك متأكد؟

أمسك فارس بكلتا يديها وهو يكمل حديثه.

- قلبي بيقو...

- فارس قولتلك متمسكش إيدي تاني!

حاضر حاضر خلاص.

(٣)

"أنا دايمًا في احتياجك..

وكل اللي في مزاجك ياسيدي أنا هعمله..

ما دام قلبك في إيدي..

أنا طوع أمرك ياسيدى.. وطريقنا نكمله."

~عبد الباسط حمودة~

في منزل فارس في مدينة شرم الشيخ..

منزل صغير هادئ في أحد القرى، مطل على البحر ولكن بعيد نسبيًا، تحوطه الأشجار الصغيرة ويتزين بإضاءة خفيفة على جدرانه الخارجية.

كان فارس يجلس في الصالة يشاهد أحد العروض التلفزيونية ويتناول الطعام، وبرغم انشغاله كان عقله ما زال يفكر فيها وكأن العمر توقف بين عينيها، ولكن في حقيقة الأمر هذه المرة لم يكن متأكدًا هل العمر توقف عندها ليكملوا الحياة معًا بعد ذلك، أم أنه مجرد توقف مؤقت وستكمل الحياة مسارها بلا أي تغيير.

قطع شروده صوت جرس الباب يرن، انتبه للباب وقام ليجد فريدة أمامه.

***

حين ما تملك اليأس من فريدة بعد مقابلة فارس قررت

قضاء العطلة في القاهرة، وحينما ذهبت إلى هناك ولم تستطع سواء الذهاب إلى صديقتها، وحين فتحت مريم الباب وجدتها في حالة لا يسر لها. ليست مهتمة بمظهرها على غير العادة، عينيها مثل البالون ووجهها شاحب أصفر صغير، لو رأتها بالقوة التي كانت تتحدث بها مع فارس ما تعرفت عليها.

جلسا يشربان الشاي على الأريكة بجوار التلفاز وأعددت مريم لفريدة ليمون، ولكنها أبت أن تشربه وأصرت على شرب الشاي.

- طيب هروح اعملك حاجة تاكليها بسرعة.

- مش عايزة حاجة متتعبيش نفسك.

- يا بنتي وشك زي اللمونة هعملك أي حاجة خفيفة طيب.

صرخت بها فريدة:

- مريم.. مش عايزة حاجة قولتلك.

وانهارت من البكاء في حالة هستيرية.

***

- إيه ده فريدة.. ايه اللي جابك هنا؟

ابتسمت فريدة ابتسامة تخفي بها خجلها..

- إيه ده يا فارس حد بيقول كده؟!

ارتبك فارس وندم عما تفوَّه به..

- أنا آسف والله مش قصدي.. أنا قصدي خير.. في حاجة ولا إيه؟!

- لا مفيش متقلقش، أنا بس عايزة اتكلم معاك في موضوع.

- ماشي تعالي اتفضلي!

دخلت فريدة المنزل لأول مرة وشعرت فيه بالدفء، بيت ليس بصغير أثاثه يميل للبني الغامق، وبالرغم من وجود فوضى رجل وحيد ولكنه بيت جميل وراقي، يوجد بينه وبين شخصية فارس ارتباط كبير، كانت في البداية

مرتبكة لا تعرف من أين تبدأ، ولكن نظرات وهمسات فارس المتسائلة جعلتها تتعجل بالحديث.

- ازيك يا فارس عامل ايه؟

ضحك فارس من السؤال..

- أنتِ جاية تسأليني عامل ايه؟

أدركت فريدة سطحية السؤال وأخذت قرار حازم بالبدء في الحديث.

- أنا عايزة نأجل زيارتك لأهلي يا فارس.

سكت فارس لوهلة ينظر لعينيها يحاول فهم ماذا يحدث؟! وكانت بدورها تنظر له منتظرة أي أمل بقبول الفكرة.

- هاا!

- أنا مش فاهم ليه؟!

- أنا مش مستعدة يا فارس بس محتاجة شوية وقت أعرف استعد لي ده.

- مش هقولك مش مستعدة ازاي أو ليه.. هقولك

هتكوني مستعدة امتى يا فريدة؟!

لو أجلناها هتكون امتى.. كمان شهر؟ كمان شهور؟ سنة؟

ونظر في عينيها متسآلًا والغضب كان واضحًا في حركاته وأنفاسه:

- ولا بعد كام سنة يا فريدة؟

برغم رغبة فريدة في البكاء وضعفها الظاهر حاولت التظاهر بالتماسك:

- أنا مش قصدي كده، أنت ليه مش فاهمني؟!

ضعف فريدة الظاهر قلل من غضب فارس وطلب منها الجلوس بجواره على الأريكة..

- طيب اقعدي يا فريدة! فريدة أنا بحبك مش عايزك تبوظي الحب ده.. حاسة إن عندك مشكلة ومش عارفة تتعاملي.. متوترة.. أي حاجة من الكلام ده.. اتكلمي معايا صلي استخارة وادعي ربنا.. روحي لدكتور مثلًا ممكن

يعرف يحل المشكلة.

استنكرت فريدة كلامه، لم تعترف يومًا أن ما بها يمكن أن يكون مرضًا.. كبريائها لن يحتمل هذا الموضوع..

من وجهة نظرها أنه مجرد شعور بعدم الراحة.. شعور غريب يمتلكها يشعرها دائما بالخطر وعدم الراحة، ولكنه ليس مفهومًا ولا تعلم له سبب.

أمسك فارس يدها قائلًا:

- حبيبتي ربنا يهديكِ، أنا بحبك وعايز نكون سوا.

- وأنا كمان نفسي بس أنا مش مستعدة.

- يوووووه.

و ترك يديها وابتعد من مجلسه..

- فريدة كلمة مش مستعدة دي مش عذر ليكِ، معناها حاجة من اتنين لا إما إن أنتِ مش بتحبيني لا إما...

سكوت فارس جعل فريدة تنهي مجلسها..

- لا إما إيه؟

- فريدة أنتِ فاهمة كل حاجة.. عندك مشكلة اتعالجي إنما احنا مش هنفضل كده.

- أتعالج! لا يا فارس أنا مش هتعالج عشان أنا معنديش مشكلة، مش يمكن المشكلة مش عندى أنا!

- وعندي أنا ازاي يعني؟

- يمكن أنت مش مطمني، مش عارف تطمني يمكن مخوفني، أنت مستعجل أوي، مش مديني فرصة حتى افكر.

- فريدة تفكري في إيه؟! أنا بقولك عايزة اتجوزك بحبك وعايزة اتجوزك.

ثم اقترب منها وقال في تساؤل:

- هو أنتِ مش بتحبيني؟

صمتت فريدة ولم ترد على سؤاله بالرغم من معرفة الإجابة، ولكنها فضلت الصمت من الرد الصريح واكتفت بالنظر له حتى صرفت عينيها عنه.

- مجوبتنيش يا فريدة؟

قالت في كبرياء:

- مش متأكدة يا فارس.

- نعم؟! يعني إيه؟

- زي ما سمعت أنا لسه مش متأكدة، مش عايزة أخد خطوة رسمي أو نكلم أهلي غير لما نتأكد.

- عندك حق، شكلي أنا كمان هغير رآيي.

- يعني إيه؟

- زي ما سمعتِ، أنا صحيح تعبت أوي على ما وصلتلك بس شكلي كده كنت غلطان، اتفضلي يا فريدة عشان عايز أنام عندي شغل كمان كام ساعة.

***

- عشان مخدعكيش اللي أنتِ بتعمليه ده اسمه نكران للجميل، عدم تقدير للمعروف.

نظرت لها فريدة في عدم فهم منتظراها أن تكمل..

- You're degenerate.. متبصليش كده أنا مش عايزة

أضايقك وخلاص، بس اللي أنتِ بتعمليه ده زي الطفل ناكر معروف تربية أمه ليه، أو زي أي شخص مقدرش جميل صاحبه عامله، وهي على فكرة نفس فكرة عدم شكر ربنا وإنكار رزقه وبركته وفضله علينا ونعمه اللي محاوطنا، انهاردة أنا كنت بقرأ كتاب كده لنجيب محفوظ اسمه بداية ونهاية.

تجنبت مريم الإطالة في الحديث فقالت بلهفة مسرعة:

- عشان بس مطولش عليكِ الرواية دي كانت فيها قصة حسين اللي دخل كلية الشرطة باين من فضل فلوس أخوه اللي دفعهاله، وبعد ما حسين اتخرج وبقى ضابط أنكر فضل أخوه عليه، لا وكمان شاف إن أخوه ده خطر عليه وعلى سمعته، سمعة سعات الضابط بقى..

هي دي بالضبط فكرة إنكار الجميل، ربنا يرزقنا بفلوس بس ميرزقناش عيال مثلًا يرزقنا صحة وعيلة.. نزعل إنه مادناش أصحاب حوالينا وأمثلة كتير أوي..

وزي مثلًا اللي يرزقها حبيب وراجل محترم و تضيعوا من

إيدها عشان خايفة أو مش متأكدة و الكلام الأهبل ده..

عارفة ربنا يا فريدة قال إيه؟

كان انتباه فريدة لكلام صديقتها قد ازداد كما ازداد بداخلها شعور لوم النفس..

- قال الله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم"

وقال: "واشكروا لي ولا تكفرون"

صدق الله العظيم.

همهمت فريدة مع مريم لتكمل مريم وهي تنظر لعين فريدة مباشرة:

- التقدير قوة في حد ذاته – The power of appreciation من غيره مش هتفضلي في الخير اللي أنتِ فيه..

لتربت على يديها و تكمل..

- افتكري ده كويس.. الشكر عبادة زي ما الرضا بالمقسوم عبادة.. وزي ما عدم الشكر وعدم التقدير كفر وكسرة خاطر لحد تعب عشان يسعدك أو يرضيكِ..

معادلة بسيطة ربنا ذكرها عشان نفهم بس احنا الي مش عايزين نفهم ولا حتى نحاول.

أنهت مريم حديثها لتنظر في سكون مرة أخرى على التلفاز وتكرر النظر مرة أخرى على صديقتها..

- فهمتيني؟

صمتت فريدة متحججة بالنظر هي أيضًا إلى التلفاز وعينيها تملؤها الدموع وتسقط واحدة منهم دون إرادتها وصديقتها تنظر إليها وتقول داخل نفسها: "آلمتني بالحديث عن علي لأنه غير مقدر حبي له وتتهمني بالضعف.. وتفعل نفس ما فعل علي معي ولكنها هي الضعيفة هذه المرة."

في هذه الليلة نامت فريدة بجوار صديقتها ولكنها لم تستطع النوم والأرق زارها في نومها كالمعتاد منذ سنوات، ونهضت مبكرًا مع أول خيط لشروق الشمس وكانت ساجدة تصلي وتسبح باسمه العلي العظيم..

يا رب...

أستودعك يا رب نفسي من ذل الحياة وكبرياء النفس وقلب حاقد وصداقة المنافق وحب كاذب..

اللهم إن ضلت نفسي طريقها فردها إليك ردًا جميلًا..

اللهم ارزقني الاتزان والوسطية في الشعور واجعلني لا أعطي كثيرًا و لا أشح..

وارزقني بالبصيرة التي تجعلني أراهم كما يروني لا أدنى من هذا ولا أكثر..

لتبكي قبل تكملة السطر وتقول في وسط الدموع:

اللهم إني استودعك قلبي فانزع منه كل خوف إلا منك..

واجعله وعاء لحبك وعلمك و اكسه من خشيتك وخوفك..

اللهم استودعك كل شيء رزقتني وأعطيتني فاحفظه لي من شر خلقك أجمعين...

استيقظت مريم على صوت صديقتها وهي تصلي في الصالة قائلة لها:

- اهدي يا حبيبتي اهدي.. تعالي تعالي.. اهدي اهدي!

***

انتهت إجازة فريدة لتعود للتركيز في العمل مرة أخرى، ولكن كل المحيطين بها من أسرتها وأصدقائها وزملائها بالعمل لاحظوا تغيير فريدة.. من علامات الفتور والحزن الظاهرة في ملابسها وعدم اهتمامها بمظهرها على الرغم من المعتاد، فهي في حياتها السابقة كانت معتادة على الملابس المشرقة الجديدة دومًا..

إن ألوان مشعة بالسعادة والتفاؤل تعكس شخصيتها المرحة المتفائلة دائمًا، ولكن هذه الفترة كان يحل عليها الملل والسكون والتأمل والجلوس لساعات في غرفتها بلا كلام أو أفعال.. بلا طاقة تحركها على فعل أي شيء، وكأن الملل هو أيضًا ملَّ من انقطاعها عن الحياة.

صديقتها مريم كانت تكتفي بمحادثة تليفونية معها من حين لآخر بسبب انشغالها في تجهيزات الفرح، وعلي كان يشجعها بعدم التحدث معها كثيرًا بحجة أنها لم تفكر بها مع

أنها في تجهيزات الفرح وحدها بالرغم من قوة صداقتهم، ولم تقتنع مريم برأيه ولكنها كانت تتجنب المشاكل قبل موعد الزفاف، ولكن كل هذه الأشياء لم تشغل بال فريدة، كل ما كانت تتذكره عن مريم هي محادثتهم الأخيرة في القاهرة.

***

جلس فارس مع صديقه في أحد المطاعم المخصصة لإعداد الأسماك في الإسكندرية، مطعم كبير يرى البحر بجهة كبيرة،

فضلوا الجلوس في الشرفة الخارجية المطلة على البحر مباشرة..

- أي خدمة يا عم علي، أكلة سمك وفي إسكندرية وعلى البحر عشان متقولش إني حرمتك من حاجة.

- ألف شكر يا فارس بيه، بصراحة خدمة عالية أنت أبو الواجب طول عمرك.

- يالا أنت أخويا، أهم حاجة بس تشرفنا بعد الغرامة

دي.

- لا متخافش هشرفك طبعًا.

- هشرفك طبعًا.. متتكلمش والأكل في بقك بس.

- حاضر يا سي بابا، أنت هتذلني بالغداء ولا إيه! لما تخلف ابقى علمه يقفل بقه وهو بياكل أنا مش ابنك.

- يا عم ولا ابني ولا حاجة، خلاص كل كل.

- طيب وأنت أخبارك إيه؟

- أنا تمام الحمد لله ماشية.

- لا أنا مش خالك، أنا بسألك على فريدة.. عامل إيه في حوار فريدة؟

- معملتش حاجة.

- لا ما أنا عارف إنك معملتش حاجة.

- في إيه يا علي أنت عبيط؟

ضحك علي و أكمل..

- مش قصدي.. أنا قصدي عامل إيه في حوار فريدة، لسه الحوار مقصر فيك.

- إيه يا علي السؤال ده ما أكيد فارق معايا.

- أنا مش فاهم الحوار ده مقصر فيك ليه! ولا يهمك هي الخسرانة، هي تطول حد زيك.

- في إيه يا علي أنت بتتكلم زي أمي كده ليه؟! كمان هي لما مريم سابتك أنت كنت كويس؟!

- لا يا معلم حواري أنا ومريم مختلف، احنا بقالنا كتير مع بعض ما أنت عارف احنا مع بعض من امتى، إنما أنت وفريدة مش بقالكم كتير عادي يعني افكس فكك متوجعش دماغك!

حديث علي أحزن فارس ولكن قرر عدم الرد، فهو يعلم كيفية تفكيره من أيام الدراسة، وهو اليوم عريس فيمكن تاجيل الكلام أو حتى عدم خوض هذا الحديث أبدًا.

بالرغم من سطحية كلام علي وعدم شعوره بمشاعر

صديقة الخالصة، أعاد كلام علي في وجدان فارس مشاعر لا يريد تذكرها، فمنذ اليوم المشؤوم لم يحاول أحد فيهم الاتصال بالآخر.

***

كانت العروس في بيتها الجديد..

بيت صغير في أحد شوارع منطقة القاهرة الجديدة.. بيت صغير به نافذة صغيرة مطلة على الشارع، وبالرغم من صغر البيت وخلو موقعه لكن مريم حاولت جاهدة لجعله أجمل ما يمكن أن يكون.

أثناء التحضير للبيت أحدهم دق جرس الباب لتفتح العروس وتجد صديقتها أمامها، وكما أتت لها في اليوم المشؤوم لم يهن عليها أن تقوم العروس بالتجهيزات وحدها.

عندما رأت مريم فريدة أمامها احتضنتها وسعدا معًا بتجهيز التفاصيل والتحدث في أمور الزواج و الحياة الجديدة ومخاوفها، وجدت فريدة داخلها بالرغم من السعادة التي تمتلكها ندم، فلِمَ لم تربح هي أيضًا بهذه السعادة؟

بالرغم من كل ما فعله علي معها تمسكت به مريم لآخر نفس.. أما هي فتركت فارس وحده.

***

استيقظ فارس في أول يوم في الإجازة مفزوعًا على رنات من جرس الباب، لم يتوقع قدوم أحدهم في هذا الوقت المبكر من اليوم.

- إيه؟

بعد مرور دقائق صامتة بين فارس وفريدة الواقفة على باب المنزل شاحبة اللون..

- إيه يا فريدة، اتفضلي!

قالها فارس وهو متماسك، ولكن من داخله كان يريد أخذها فاحتضنه بشدة من الاشتياق..

دخلت فريدة في هدوء وأثر نومها المتقطع وعدم اهتمامها بالطعام في الفترة السابقة على صحتها العامة، فكان يوجد رعشة في جسدها لاحظها فارس حين دخلت المنزل.

لم تعطِ فريدة فارس فرصة للحديث أو سؤالها عن ما حل بها، ولكن كل ما دهاها أن بدأت في الحديث متعجلة..

- فارس أنت شايف إني رفضت جوازنا عشان مش بحبك ولا عشان عندي مشكلة؟

- والله انتي اللي تجاوبي على السؤال ده!

- أنت شايف إيه؟

أمسك فارس يدها في حنانه المعهود..

- مالك يا فريدة في إيه؟

- عايزة أعرف إجابتك!

نظر لها فارس في لوم خفي، هو لم يرد أن يزيد عليها وهي في هذه الحالة..

- أنتِ ليه عملتِ كده يا فريدة؟!

علا صوتها وهي تقول:

- أنا عايزة أعرف أنت شايف إيه؟!

- شايف يا فريدة إنك حتى لو فعلًا بتحبيني وفعلًا عندك مشكلة تانية كان لازم تحاولي تحليها عشان نفضل مع بعض، أنا مهما حاولت مكنش ينفع أخدك من إيديكِ نشوف حل لمشكلة أنتِ أصلًا مش قايلهالي.

بدأت دموع فريدة في التساقط وهو لا يعلم لهذا البكاء سببًا..

مشكلة فريدة بدأت في بيتها..

خال فريدة، فريد طبيب الأطفال الذي نشأ معهم في المنزل ولانشغال والدها في العمل ووالدتها في أمور الحياة من إعداد الطعام والمسلسلات التركي والحديث مع الأصدقاء عن هذه وهذه وعدم وجود أطفال غيرها، كان خالها هو الأقرب إليها في المنزل هو صديقها وأقرب لها من إخوتها الكبار، كان الكبار منشغلين في حياتهم الشخصية أما هو فكان غير متزوج ولم تتذكر فريدة أبدًا صديقة له أو حبيبة يحدثها عن زواج أو ما شابه.

في يوم الحادث الأول كانت فريدة تلعب معه كالمعتاد،

ولكن هذه المرة شعرت بحركات ولمسات غريبة منه، ولصغر سنها وعدم وعيها لما يحدث لم تفهم ولم تعطِ للموضوع أهمية، لم تستوعب هذه الحركات إلا بعد مرور سنوات وبالرغم من مرور هذه السنوات ولكن أنها لم تنسَ، تتذكر كل المواقف بالتفاصيل لمسة يده الكبيرة التي تحولت من يد صديق ليد كبير يبتلع جسدها الصغير بين أصابعه القاسية، لم تنس يومًا حركاته الغريبة المزعجة وعدم ارتياحها لما يحدث وأيضًا صمتها وعدم تفوهها بشيء رغم ما يحدث.

كان من المعتاد أن ينام خالها فريد بجانبها، فهو من يحكي لها حدوتة قبل النوم كل ليلة، وفي أحد الليالي المعتادة اقترب فريد بها أكثر من اللازم، فتعجبت فريدة من ما حدث وابتعدت وهي في حالة نفور مما يحدث حين قال لها خالها:

- اهدي مفيش حاجة!

لم ترد عليه فريدة فاقترب منها مجددًا:

- يا عبيطة بتعملي كده ليه أنا خالك عادي!

وقام بأخذها تحت ذراعه..

- أنتِ عبيطة أوي أنا كده مش هحكيلك حدوتة تاني على فكرة.

- خلاص يا خالوا أنا آسفة.

- ولا يهمك يا حبيبة خالوا خلاص.

فأمسكها بقوة وكانت تحاول التخلص منه..

- خالوا أنت بتعمل إيه؟

- إيه يا حبيبتي أنا خالك!

بكت فريدة الصغيرة مما حدث ليسمع فريد صوت دخول حسن والد فريدة المنزل، ليخرج من غرفتها خائفًا مرتعشًا، وظلت فريدة تبكي فور خروجه، ولكن الغريب حينما سمعت صوت اقتراب أقدام والدها قامت بمسح دموعها في عجلة، وأخفت كل علامات الحزن والرعب على وجهها واعتدلت للنوم، وكأنها مشتركة في هذه الجريمة وتريد إخفاها هي الأخرى.

ظلت فريدة نائمة في وضع الجنين ليس ليوماً واحد بل لأيام لا تريد الذهاب للمدرسة و لا الخروج من غرفتها وحين تسألها أمها تقول لها أنها مريضة وتريد النوم فقط.

في أحد الليالي في منزلهم كانت تتناقش الأم مع أخيها في حاجة فريدة للذهاب لطبيب نفسي يساعدها على الخروج من هذه الحالة، ولكنه رفض وقال لها إنه سيراها و يتابع حالتها بنفسه ولا حاجة للذهاب لطبيب نفسي ما دام خالها موجود.

بعد مرور أيام عديدة على الحادثة كان اليوم الأول لفريد لدخول غرفتها ليوقظها من نومها ويقول لها أثناء رعبها الشديد منه:

- لو نطقتِ بحرف واحد يا فريدة أبوكِ مش هيعملي حاجة هيعملك أنتِ.. أنتِ اللي هتشوفي هيعمل فيكِ إيه! اوعي تنطقي بحرف واحد أنتِ فاهمة ولا لا! ولو مقولتيش لحد محدش هيعرف والدنيا هتمشي عادي.. فاهمة ولا مش فاهمة!

واسمعي يا بنت أنتِ ترجعي تروحي مدرستك وتكملي حياتك الزفت ديه ماشي ولا مش ماشي! ولو منفذتيش حرف واحد من الكلام ده هتشوفي إيه اللي هيحصلك.. وأنا عن نفسي هسافر مش هتشوفني تاني متقلقيش!

اهدائها كلامه بالرغم من كل شيء، وبالفعل فعلت ما أمرها به، وبعد كل شيء فريد هو من أخرجها من ما حل بها ونفذ وعده وسافر للعمل في الخارج لم يتحدثا من هذا اليوم إلى الآن.

أنهت فريدة القصة وفارس كان متعجبًا من ما قص عليه .. صامتًا، حديثها كان كافيًا للإجابة عن كثير من الأفعال.. ولماذا رفضت الزواج منه.. لماذا انزعجت حين أصر على ذهابها لطبيب.. ردود أفعالها عندما يقترب منها أو يحاول لمسها..

القصة التي قالتها للتو كانت إجابة للكثير من الأسئلة التي شغلت باله في الفترة السابقة.

اقترب فارس منها ولكن هذه المرة على عكس المعتاد لم

تغضب أو تقاوم بل اقتربت منه أكثر ليأخذها بين ذراعيه، ويترك لها حق البكاء.

كان داخل فارس الكثير من الغضب على عكس فريدة التي أرحها الحديث والبوح بما داخلها من سنوات.

أما عن فارس كان بداخله حيرة لم يعرفها من قبل برغم احتضانه لها وتعاطفه معها، لكن هذه القصة جعلته يسأل نفسه إذا كانت هذه التي اختارها وأحبها أم لا؟!

حزن أكثر من اعترافه أمام نفسه بهذا ولكن لم يقدر على خوض هذا الحديث معها.

- فريدة متخافيش أنا جنبك كل ده حصل عشان نوصل للنقطة دي.. كل ده حصل عشان نكمل نقص بعض ونحاول على قد ما نقدر نداوي جروحنا سوا.

ثم تحرك في جلسته واقترب منها أكثر ليشعرها بالدفء من خلال الاقتراب منها، الأمر الذي جعلها تشعر بقشعريرة خفيفة، وجعل القلق ودقات قلبها تزيد كرد فعل معتاد منها..

- طيب أقولك حاجة؟

وقالت وهي على استحياء منكمشة:

- قُل.

لتترك له ضفة الحديث:

- عارفة ازاي نتغلب عن الخوف من الحب يعني من الوقوع فيه؟

- ازاي؟

- أولًا يا فريدة ده نور.. الحب نور وسعادة وانبساط.. يعني يمكن عند الأغلبية مش عند كل الناس..

ثم وجه الكلام لها:

- عشان في ناس مرت بظروف خلِّتها تخاف تنكشف.. تسيب نفسها للي قدامها حتى لو بتحبه، مش قصدي الانكشاف وتسيب نفسها بالمعنى اللي في دماغك أنا قصدي تسيبي نفسك حتى تحبي.. حتى توصلي معاه لدرجة من الثقة أنتِ خايفة توصلي ليها عشان مش عايزة تتفتحي

قدامه أو تسيبي نفسك ليه وتباني على حقيقتك..

- يا حبي أنتِ الموقف اللي حصلك مع خالك أو ممكن كمان يكون مواقف تانية أنتِ مش عارفة إنها فارقة خلِّتك تخافي من إنك تتعلقي بحد ويسيبك زي كده ما اتعلقتي بخالك وخذلك.

وانفعل في الحديث دون قصد وهو يكمل:

- فانتِ قررتِ.

ثم شاور عليها..

- حتى لو مش واخدة بالك من القرار ده أنك متتعلقش بحد متحكيش لحد.. متقربيش من حد ليخذلك زي الي خذلوكي قبل كده

- عارفة يا حبي.. أقولك على حاجة!

قالت فريدة بصوت هادئ مستسلم للحديث كعادتها هذه الفترة:

- إيه؟!

- الحب ده.. وقود الحياة.

"لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا"

مش تحبوا لا تحابوا، تحابوا معناه إنك تدي الحب وكمان تستقبلي الحب، وطبيعة الحياة إن يحصل فيها نقص، إنك تنقصي حاجة يكون عندك نقص في حاجة أي حاجة.. بس عارفة النقص اللي عندنا ده اللي جالنا بسبب خذلان حد لينا احنا نقدر نستخدمه.. أولًا من خلال إننا نتأكد إن ربنا هو معيننا وسندنا الوحيد، وتاني حاجة إننا نعقل نستغل اللي حصل في إننا ننضج نكبر مش نكوِّن كلاكيع جوانا ونسيبها ونسكت.

حبيبتي قولي وأنتِ مؤمنة بقدرة الله سبحانه وتعالى ربي آجرني يعني احميني..

ربي آجرني في مصيبتي وأخلفني خيرًا منها.. صدقيني بعديها الدنيا هتتغير وهتلاقي العوض اللي ميخطرش على بالك هيطلع في أقدار ربنا مخزون خير كتير ميخطرش على بالك.

سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم: { وإن يتفرقا يغنِ الله كلًّا من سعته}

ربنا الغني.. المغني قادر على إغناء الكل.. من سعته.. عطاء ربنا لا ينفذ زي ما قال ربنا في القرآن الكريم.

ربنا قادر يكفيكِ.. وقادر يحميكِ.. متخافيش.

ربنا قال:{ أليس الله بكافٍ عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هادٍ}

ربنا قادر إنه يديكِ لغاية ما ترضي.. لغاية ما تكتفي يا حبي.

الشيطان من أكتر المشاعر اللي عايزنا نعيش فيها الخوف وأوحش حاجة أنه يخوفنا من بعض ويخوفنا من عدم قدرتنا على القرب.. فنعيش بندور على القرب.. ونعيش و احنا منعزلين.

ثم سكت للحظات ليكمل بصوت هادئ:

- أو عارفة يخليكِ تعملي إيه؟

نظرت فريدة له بتركيز شديد وهدوء يحثه على تكملة الحديث..

- تدخلي العلاقة وأنتِ معندكيش استعداد إن اللي قدامك يقصر في حقك وبتاخدي كل تصرف بإهانة كبيرة لأنه بيفكرك بعقدتك.. ثم قرب له لتشعر بدفء جسده مرة أخرى.

مع إن ممكن اللي قدامك يكون بني آدم بيحبك من قلبه، بس أنتِ اللي مش مدياله فرصة حتى يغلط.

الموضوع بس يا حبي محتاج عقيدة.. ومحتاج تفتكري كويس إن ربنا سبحانه وتعالى عنده العوض اللي يكفيكِ..

ومحتاج تفصلي ما بين وجع ومشاكل زمان عن أمل وفرحة المستقبل..

- فهماني يا حبي ولا إيه؟!

***

الساعة التاسعة صباحًا..

وجود الورد الأبيض على الجانبين بالطريقة المصطنعة وحضور عدد كبير من الأصدقاء و الأقارب بفستان أبيض خفيف تزينه ورود صغيرة من على الأكتاف، وبدلة رمادية اللون وقميص أبيض بلا ربطة عنق.

كانت فريدة و فارس يتمان مراسم الزواج السعيد و الحب يملأ المكان والزهور تطير في الهواء، وأخيرًا تمت الزيجة بنجاح ليبدآ سويًا الطريق.

بجوار ساحة الرقص كان العرسان يسيران في جوار بعضهم البعض، تمسك فريدة بكفيها زراعا فارس ليمسك هو يديها الفارغة..

- أنا مش مصدقة يا حبيبي إننا خلاص اتجوزنا.

أوقفها فارس فجاء لينظر في عينيها:

- سيبك أنتِ أنا مش مصدقك إنك بتقوليلي يا حبيبي أصلًا.

بعد ضحكة فريدة العالية..

- لا صدق يا حبيبي أهو.

***

- إيه ده يا ماما الله ده أنتِ!
- أيوة يا حبيبي مش باين ولا إيه!

قال يونس بسخرية:

- لا الصراحة مش باين خالص.

وقالت بمزاح:

- يا قليل الأدب

كانت أيام حلوة أوي.. استني لما اشوف الأكل اللي على النار.

- بجد كنتِ عروثة أووي.

ضحكت....

- كنتِ عروسة أوي ازاي يعني؟!

***

كان بوح السر بالنسبة لفريدة بمثابة الخلاص.. لم يعد التقرب من فارس بمشاعرها أو جسدها أمرًا يخيفها..

فهي كانت خائفة في البداية من الذنب الذي تحمله، ولكن فور الاعتراف به وأيضًا بمساعدة الطبيب الذي أوصاها فارس بالذهاب له، كان طوق النجاة لفريدة من شبح الماضي الخاص بها..

"اليوم هو موعد زفافنا.. بعد مرور كل هذا الوقت سنجتمع أخيرًا في بيتنا الهادئ... الذي قمنا بتجهيزه سويًا ليكون شاهدًا على حياتنا فيه...

بعد مرور كل هذا الوقت سأستيقظ على وجودك بجانبي.. سأشم رائحة عطرك كل يوم وفي جميع أركان المنزل..

سأنتظرك في كل إجازة لتعود مجددًا وأدخل في أحضانك من جديد..

سأكون أخيرًا زوجتك.. حرمك المصون.. التي لم تغفل أبدًا عن حمايتها.. أيُّها الفارس"

استيقظ فارس في صباح يوم الزفاف على هذه الورقة، وبالرغم من قرائتها ولكنه استغرب وجودها بجانب سريره..

فكيف عرفت فريدة أن تأتي بها إلى هنا؟!

لو فكر قليلًا لتوقع بأنها قالت لمسؤول نظافة الغرفة أن يضعها بجواره، وفي أثناء شرود فارس قاطعه صوت دقات عالية على الباب، وعندما ذهب ليفتح وجد علي وبعض من الأصدقاء يهللون و يغنون في فرحة..

الليلة هنا وسرور.. وبكرة..

- يالا يا عريس انهاردة ليلتك.

***

- بابا.. بابا..

- نعم يا حبيبي عايز إيه؟!

كان الفارس ويونس يجلسان وحدهما في المنزل لسفر فريدة للقاهرة لزيارة سريعة لأهلها.

- أنا عايز اعمل حاجة لبثمة عشان أبان إني بحبها عشان هي شكلها مش حاثة خالص.

- مش فاهم حاجة خالص يعني إيه؟!

يا واد أنت هي مامتك معلمتكش الكلام ولا إيه؟! طبعًا ما هي مسافرة وسيبانا.

- لا ماما علمتني أنا بث ثناني وقعت حتى شوف.

واقترب منه وقام بفتح فمه بيده الصغيرة..

- طيب ابعد كده شوية.. لا عندك حق وقعت فعلًا.. أنت كان لازم تطلع لأبوك بس شكلك كده طالع لأمك.

اقترب منه يونس وحضن رقبته بيديه الصغيرة..

- لا طلعلك أنت يا بابا.

ابتسم فارس من حنان الطفل وقال بثقة وصوت منخفض يزينه الحنين:

- لا طالع لأمك.

المهم دلوقتى هتعمل إيه يا أبو يونس؟!

- معرفش يا أبو يونث أنت.. أنت شايف اعمل إيه؟!

- شايف إنك تروح لها سكة ودغري كده تقولها بحبك على طول.

- مش هينفع.

- مش هينفع ليه؟!

- هتكثف.

ونظر في اتجاه معاكس لمجلس والده.

***

- بس أنتِ مقولتليش يا حبيبتي إيه الجواب اللي كتبتهولي ده!

- إيه ده هو أنا مقولتلكش قبل كده؟!

- لا مقولتليش.. قولتيلي إيه؟!

- قولتلك إني بحب الجوابات أوي.. بحب فكرتهم أحلى بكتير من المسدجات والكلام والحاجات دي ليهم قيمة كده.

- بس أنتِ ميبانش عليكِ الرومانسية ديه.

ضربته فريدة بيدها على صدره في خفة..

- إيه مليش فى الرومانسية ديه! أنا ليا جدًّا على فكرة أنت بس اللي مش واخد بالك.

- طيب ما توريني كده!

- بس بقا الواد يصحى!

- واد إيه يا حبيبتي احنا مخلفناش لسه أنتِ في الشهر التالت كل ده!

ضحكت فريدة و أكملت:

- ماشي خلاص.

***

- خلاص لقيتها اكتب لها جواب!

- جواب!؟

- أيوة يا أبو يونس قولها فيه اللي أنت عايزه!

- اشمعنا جواب؟!

- أحلى بكتير من المسدجات والكلام والحاجات دي.. حاجة ليه قيمة كده.

- يعني إيه؟

- مش مهم، المهم هتكتب لها إيه؟!

- مش عارف اكتب أيه!

اندمج فارس في شخصية الشاعر ووجه نظره للأمام..

- هقولك، اكتبلها: "لو يوم تميل يا جميل أنا كتافي يشيل"

- إيه؟

- إيه ده إيه الكلام اللي بتقوله ليونس ده؟!

دخلت فريدة من الباب الخلفي للمنزل، ومع أول لحظات كلامها قفز يونس عليها..

- ماماا!

- إيه يا حبيبتي حمد لله على سلامتك.. مقولتيش ليه إنك

جايه؟!

- ليه لو كنت قولتلك كنت هتقفل باب الجنينة وراك، ولا كنت هتسيبه بردو وانتوا داخلين تناموا؟!

اقترب فارس من فريدة يحتضنها و قامت هي بدورها باحتضانه..

- أكتر حاجة بحبها في أمك يا فارس طيبة قلبها دي.

- يالا يا يونس يا حبيبي ندخل ننام!

أمسكها من يديها وهما متجهين للنوم:

- إيه ده هو أنتِ هتروحي تنامي معاه؟!

- آه إيه المشكلة مش ابني؟!

- طيب وبالنسبة لأبو الواد؟!

- أيوة صحيح أبو الواد كان بيقول للواد إيه لما دخلت عليهم؟!

ضحك فارس لتسأل فريدة وهي تشاركه الضحكة:

- بتضحك على إيه؟!

- مفيش أصلي افتكرت يوم لما سألتك على الجواب وقولتيلي الواد يصحى وأنتِ لسه حامل..

و تشاركا الضحك سويًا.

(٤)

"في ناس بنشوفها بالألوان وناس جواها مش بيبان..
وناس أسود وناس أبيض وناس محتاجة بس أمان..
وأكتر ناس تآمنهم ما ييجي الجرح غير منهم..
وناس وأنت بعيد عنهم بتنسى معاهم الأحزان."

صلاح جاهين

في ظهر يوم الجمعة قبل الإجازة الفرسان في أحد المعسكرات التدريبية للقوات المسلحة أثناء التواجد للتمرين، كان فارس وعلي متجهين إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة..

- مالك يا علي في إيه.. مالك يالا في إيه؟!

- يا فارس ما خلاص.

- إيه يا بني مالك؟!

- إيه الحركات اللي أنت عملتها في الطابور دي!

- حركات إيه؟!

- مش معنى إن أنت رتبتك أعلى إنك تكلمني بالأسلوب ده يا علي قدام الدفعة الجديدة.

- إيه يالا الهبل ده! أنت بتقول إيه؟!

- هو احنا بنلعب دورة رمضانية في الشارع؟! احنا في معسكر تأهيل ماتستهبلش يا علي!

- يعم يخربيت اللي رقاك قبلي!

أمسك فارس بمعصم علي وهو يلوح بيده مما جعلهم يتوقفوا عن السير..

- علي ما تستهبلش احنا في الجيش مش بنلعب.. احترم النسر اللي على كتافك! أنت لسه رائد وأنا بقيت مقدم أوعى تنسى ده واوعى تنسى إننا في معسكر.. في الجيش.. في شغلنا مش في الشارع.

أشعل كلام فارس في نفس علي مرارة رغم منطقيته.. لم يستطع علي تقبل الحديث بهذه الحدة من صديقه، واخرج معصمه من يده وأكمل السير إلى الصلاة.

***

رجوعاً إلى يونس و بسمة الصغار في المدرسة و جلستهم المعتادة سوياً..

- عارفة إيه أحلى حاجة في بابا؟!

- إيه يا يونس؟!

- إن هو طيب أوي عمره ما زعلني خالث.

- إيه ده بجد ازاي؟!

- عادي إيه المشكلة هو أنتِ باباكِ بيزعقلك؟!

- أيوة طبعًا هو في بابا مش بيزعق؟!

- أيوة أنا بابا مش بيزعق.

- يا سلام! أنت كداب.

- لا أنا مش كداب.

- طيب أنت بتعيط ليه دلوقتي؟!

- عشان أنا بابا زعقلي امبارح جامد.

أخذ يبكي وبشدة..!

- طيب خلاص متزعلش متزعلش.

واستمر في البكاء.

***

- إيه يا فارس إيه اللي حصل لكل ده؟!

- غبي ازاي يكسر البتاع بالهبل ده؟!

- في إيه يا فارس ده عيل صغير أنت حاطط نئرك من نئرو؟!

بعد رجوع فارس من الإجازة لم يكن حاله على ما يرام، ولم يفضل مشاركة أفكاره مع زوجته والحديث معها بانزعاجه من أفعال صديقه في الفترة السابقة.

فإن أسلوب علي تغير تمامًا بعد الترقية الأخيرة، أصبح لا يطيق محادثة فارس ولا حتى رؤيته، وكان أيضًا ينتقد فارس كثيرًا مع زملائه الآخرين ولا يأتي ليخبره عما يقوله زملاؤه عليه مثل ما سبق..

- معلش يا فريدة أنا بس مضايق شوية الفترة دي والترقية خلت المجهود عليا أكبر.

- ولا يهمك يا حبيبي بس لو سمحت اهدى شوية على الولد هو معملش حاجة!

- حاضر خلاص.

***

في أحد بيوت التجمع الخامس كان علي وزوجته يستعدان للخروج ولكن علي لم يكن على أفضل حال، فهما اليوم لديهم موعد مع والدة علي.

إنها الزيارة المنتظرة بعد مدة كبيرة من انقطاعهم عن المقابلات أو حتى التحدث عبر الهاتف، وبعد محاولات عديدة من قبل مريم نجحت أخيرًا بإذابة جزء من الخلاف وسماح أمه بزيارتها..

- إيه يا علي كل ده بتلبس؟!

- أنتِ ازاي تخشي عليا من غير ما تخبطي؟!

ضحكت مريم وقالت له:

- حبيبي أنت عبيط أنا مراتك!

- إيه عبيط دي ما تحترمي نفسك أنا جوزك!

- خلاص خلاص اهدى محصلش حاجة!

- هو إيه اللي محصلش حاجة هو عادي إنك تشتمني؟!

- أشتمك! خلاص أنا آسفة حقك عليا، المهم حاول تنجز شوية!

- أنجز إيه اطلعي بره!

- طيب طيب.

***

عند اقتراب السيارة لمبنى علي القديم الذي مكث فيه طوال أيام طفولته والمراهقة، أعاد في ذهنه ذكريات لم يكن يريد تذكرها مجددًا، بل أنه حاول عمره كله دفنها ولكنه لم يستطع..

- إيه يا واد العبط ده؟! هو انت هتفضل لحد امتى غبي كده؟!

- كل دي غلطات في امتحان الشهر؟! إش حال مكنش أبوك طلع عينيه في فلوس الدروس؟! هو انت معندكش دم خالص! كان نفسى تطلع ناصح زي أخوك، مش يا خيبتك يا أهبل يا أبو درجات زي وش رجلك يا معفن!

- أهدي على الولد مش كده، مش للدرجادي!

- ملكش دعوة انت سايبني أربي الفاشل ده.. ده جزمة ولا بيحس! متخافش على مشاعره أوي كده ده جبلة!

لم يقدر علي إلا على محاولة كتامن بكائه داخله حتى لا تشعر أمه بالإزعاج وتتمكن منه مجددًا، وكان كل ما بداخله هو إنهاء هذه المعركة والذهاب بأقصى سرعة إلى غرفته، واستغل انشغال أمه بالحديث مع أبيه وذهب مسرعا إلى الداخل، وحين دخل غرفته مرتعباً وحزيناً انزعج أخاه من صوت بكائه وأنفاسه في الغرفة..

- إيه يالا انت مالك؟!

- مفيش ماما ضربتني أنت مش سامع!

- سامع سامع، هو في حد يقدر ينام في البيت ده!

- اتكتم بقى وبطل عياط عشان اعرف اتخمد

عندما تتحول مشاعر غضبك وحزنك من بكاء وشهيق إلى كتامن ومحاولات عديدة لتتوقف عن البكاء خوفاً من أن

تعود القرى من الإهانة، يكون داخل الفرد شعور ما يشبه الضعف.. الضعف حتى من إظهار الحزن أو التعبير عنه بأبسط الطرق وهي البكاء.. تتحول من إنسان عادي إلى فرد يكره كل من حوله وأولهم نفسه التي لم تستطع الرفض حتى بأبسط أشكاله.

فإذا أردت هزم فردا اعمل على إكراهه في نفسه وليس فيك، شكوكه في قوته وقدرته هو.. ليس أنت.. فالخذلان عندما يأتي للفرد من نفسه يكون بمثابة حرب متشعبة بين أجزاء روحه.. لا أحد ينجو منها.

***

- يالا يا حبيبي ولا إيه؟!

- ماشي يالا.

عندما دقت مريم جرس باب منزل أمه توقف الدم في شرايين علي للحظات في مشهد يخاف حدوثه ويتمناه منذ سنوات..

- أهلاً يا مريم أخبارك إيه؟!

- الحمد لله يا طنط أخبارك إنت إيه؟!

- نحمد ربنا يا حبيبتي.

توقف الدم لدى علي جعله يقف في هذه الثانية بوجوم وجه لا يوجد له تربير، منتظر كما في الماضي ببدء أمه بفعل أي شيء سواء بالإيجاب أو بالسلب كما كان يحدث. ما فعلته أمه كان عكس كل التوقعات، فرتكته دون حتى نظرة عتاب ودخلت المنزل دون إلقاء كلمة واحدة، يظهر عليها أن تريده أن يبادر بالحديث

***

- إيه يا لولي مالك؟!

بعد رجوع علي ومريم إلى منزلهم لم يكن عليها إلا أن تعامله وكأن شيئًا لم يكن.

وقامت مريم باستكمال مهام المنزل التي ليست لها نهاية، وظل علي في شروده يشاهد التلفاز ويتصفح على الهاتف..

- يا علي بندهلك مالك ياحبيبي مش متظبط من امبارح؟! من ساعة...

- لا عادي تمام سيبيني والنبي بس اكمل الماتش!

قامت بالتحسس على خصلات شعره القصيرة بهدوء..

- طيب مش عايز تحكيلي حاجة؟!

بدون حتى نظرة واحدة منه تجاهها..

- لا مش عايز.

- يا لولي ارحم ضعفك وقلة حيلتك، ارحم الطفل اللي جواك.. الناقم أو المعترض على اللي حاصلك.

ثم قامت بالتحسس على صدره في هدوء..

- أو بمعنى أدق يا حبيبي اللي حاصلكوا.. اعترف إن أنت والطفل واحد، واللي هو مر بيه أنت كمان مريت بيه..

إن ضعفه هو جزء كبير أوي من ضعفك.. احترم إن الطفل ده هو أنت.

- أنت يا روحي الطفل الضعيف المنكسر ده وصدقني يا

قلبي I swear الضعف ده ساعتها هيتحول لقوة!

انتهى الموقف بينهم بلا كلمة واحدة من علي، ولم ترد مريم الضغط عليه أكثر بالكلام.

***

بعد هذه الأفعال المزعجة التي ارتكبها فارس في أسرته طوال فترة الإجازة، انتهت الإجازة أخيرًا وحان موعد رجوعه بأمان إلى أرض العمل.

بعد صلاة الفجر كان قد حان وقت رحيله، ودَّع زوجته بسلام وقام باحتضانها مئة مرة قبل المغادرة، وأكد عليها للمرة الألف أن تعتني بالبطل الصغير جيدًا.

توقفت فريدة لحظات تراقبه وهو يرحل من الباب وتفكر في حضنه الدافئ الذي سوف تحرم منه لمدة ليست بقليلة، وبعد ذهابه ورجوعها إلى المطبخ لاستكمال مهامها اليومية المعتادة لاحظت ورقة بيضاء مطوية مرتين وموضوعة في الرخامة المقابلة للثلاجة.

"زوجتي العزيزة،

اليوم أنا سأذهب للرجوع لاستكمال وظيفتي الأبدية، و حين أذهب ستكملين أنتِ أيضًا الحياة، فأنا أعلم جيدًا أن الحياة لن تتوقف أبدًا، ولكن أعدك وأنا لم أخلف معك عهدًا قط، أنه لا توجد حياة مكتملة إلا معكِ، ولا توجد ابتسامة إلا في وجهك، فأنتِ من لا تكتمل الحياة إلا بها..

اليوم يا زوجتي أنا رحلت لأكمل مهمتي ولكن أعدك أن لن أكمل الحياة إلا معك..

أرجوك الحذر والانتباه على البطل الصغير فهو من سيبقى لكِ.. و أقول لكِ مجددًا ألا تقلقي.. فما دمتِ في الحياة... فأنا أريد العيش..

أحبك يازوجتي."

زوجك المخلص،

فارس.

توقفت للحظات تتأمل الخطاب..

لم يفشل فارس يومًا من إبهارها، فمنذ اللحظة الأولى وهو يفعل كل ما بوسعه ليجعلها سعيدة..

وافعاله هذه تجعلها تريد أن تكون الأفضل دائمًا فقط لإسعاده.

***

في أحد الحدائق الترفيهية في شرم الشيخ كان الملائكة الصغار يجلسان بجوار الألعاب يشاهدان أحد الكلاب يلعب مع صاحبه..

- عارفة يا بثبوثة...

قالت بسمة الصغيرة وهي تمزح:

- بسبوسة إيه أنت عبيط؟!

- إيه مش عجبك بثبوثة ليه دي حتى لايقة عليكِ؟!

- لايقة عليا ازاي؟!

- أيوة حلوة زيك.

أكملت بسمة ضاحكة..

- أنت عبيط بجد.

- أنا غلطان.. أنا مش هكلمك ومش هقولك كنت هقولك إيه؟!

- لا خلاص قول أنا آسفة أنا آسفة.

استعاد يونس حماسه في الحديث ليكمل:

- ماشي.

- أنا بحب الكلاب أوي كان نفثي يكون عندي كلب.

- اشمعنا يا يونس؟!

- عشان ميثبنيش أبدًا.

- مانا مش هسيبك أبدًا يا يونس.

- أيوة مانا عارف ما أنتِ عشان كدة بثبوتة.

ابتسمت الصغيرة لحنان صديقها في الكلام لينبت في قلبها إحساس لا تعرف معناه، ولكنه يجعلها سعيدة دائمًا.

***

في أحد الليالي قبل فجر الشمس بحوالي ساعتين استيقظ فارس من نومه بدون سبب، فقط شعر بأن شيء غريب يحدث جعله يقاوم كل التعب ودفء الفراش ليستيقظ في هذه الساعة المتأخرة.

- في إيه يا بني إيه اللي مصحيك كده؟!

- مش عارف حلمت حلم غريب.

- يا عم نام تعبتني مش كل شوية تصحى بليل وتقلق نومي.

- خلاص يا عم نام نام أنا طالع وسايبلك زفت الأوضة.

- يالا يا أخي.

جلس فارس في الخارج لتساعده برودة الجو على الاستيقاظ، وبالرغم من سواد خيوط الليل من حوله ظل يتذكر الحلم ثانيًا مرارًا في ذاكرته.. حلم غريب لم يحلم بمثله من قبل جعله يشغل باله على أسرته الصغيرة في المنزل.

لم يحاول بالاتصال عليهم فلو نجحت الشبكة بعد معاناة من الاتصال فاتصاله في هذه الساعة المتأخرة من اليوم سوف يزعجهم و يقلق بالهم، فقرر اللجوء لوصية فريدة له وهي الكتابة، قالت له في ذات يوم حين شكى لها وحدته في ليالي الخدمة الطويلة أن يكتب سواء لها أوحتى بدون علمها بالموضوع.

ظل يكتب عن ما رآه في الحلم من الهجوم الضعيف، حملة صغيرة ولم تكن مجهزة بما يكفي، هجوم مفاجئ على الكمين وبالرغم من سواد الليل كان المهاجمين على دراية كافية بما يفعلون، وشرعوا في إطلاق النار والهجمات السريعة.

أول من لاحظ كان فارس وأيقظ علي وبقية الرجال، لم يتهاونوا وسارعوا بالدفاع وحملوا معدتهم وهاجموا بكل ما أوتوا من قوة، الظاهر أنهم توقعوا أن الكمين مجهز بأقل مما هو في الحقيقة الإصابات قليلة اثنين أو ثلاث من العساكر.

أثناء المشهد انتقل فارس إلى ظهر الكمين لمتابعة صوت صديقه الذي رآه مهجم عليه من قبل أحد الرجال، وشرع

في مساعدته والدفاع عنه.

***

كانت فريدة وصديقتها يجلسان في الشرفة المطلة على الشارع في بيت أحد صديقاتها، وكان يونس يلعب مع صديقته في أحد الحدائق الترفيهية القريبة، وفريدة اتخذت فرصة انشغاله وذهبت لصديقتها لتستحي معها القهوة حين رنَّ هاتفها برقم حارس المنزل لديهم ليخبرها بأن أصدقائها ينتظروها في المنزل.

- إيه يا أستاذة صحابك هنا منتظرينك قدام البيت أنتِ فين؟!

- آه يا عم محمد صحابي مين؟!

- سعات البيه ومراته أستاذة مريم.

- مريم وعلي طيب هما مكلمونيش ليه؟!

- معرفش يا أستاذة خدي ست مريم معاكِ أهو.

- إيه يا فريدة أنتِ فين؟!

- أنا عند واحدة صاحبتي ويونس في الجنينة مع بسمة ومامتها، أنتوا مكلمتونيش ليه؟!

- عشان تليفونك مش بيجمع.

مش بيجمع ازاي يعني؟! طيب على العموم أنا هعدي أخد يونس واجيلكوا.

***

- يعني إيه؟ إيه اللي أنت بتقوله ده؟

كانت مريم وعلي يجلسان مع فريدة في الشرفة الخارجية المطلة على الحديقة الداخلية للمنزل بعدما أصرت مريم على إدخال يونس الصغير في غرفته..

- فريدة يا حبيبتي وحدي الله!

- أنتِ بتقولي إيه؟ هو أنتِ الحمل أثر على دماغك!

سكتت مريم ولم تعلق، ولم يعلق علي هو الآخر الذي كان في حالة من الوجوم من بعد الحادثة..

- أنتوا بتقولو إيه ما تردوا عليا ساكتين ليه؟! اتكلموا

قولوا حاجة متسكتوش كده والنبي عشان خاطري والنبي، والنبي يا علي اتكلم، انتوا بتهزروا صح؟! بتقولوا أي كلام صح؟! أنت أخدت الإجازة بدري و سايب فارس هناك صح؟! قول صح والنبي يا أخي قول صح!

وقالت بعدها بعلو صوتها:

- قول صح بقى والنبي!

لم يعلق علي ولا بكلمة واحدة ولا حتى حاول تهدأتها.. تجمد مكانه بالرغم من ركل فريدة له، ولم تجد مريم وسيلة أخرى غير البكاء معها ومحاولة تهدأتها بكلمات يائسة لم تجدي بشيء..!

***

كان يقول لها دائماً: "فتاتي.." فتاته أصبحت فُتات.. فُتات امرأة لا تعرف ماذا تفعل من دونه؟!

استيقظت فريدة اليوم التالي من خبر وفاته في حالة من الذهول.. لم تتوقع يومًا أن يكون الواقع بهذا السوء من

قبل.. لم يخطر على بالها أن ما حدث البارحة يحدث بالفعل كل يوم مع مئات من الأشخاص.

الموت لا يفرق بين أحد، يأخذ كل من يريد دون سابقة إنذار، يفعل ما يفعل.. يأخذ من هذه العائلة وذاك.. هؤلاء الأصدقاء وغيرهم.. يفعل ما يفعل باسم الموعد المكتوب والقدر الذي لا يوجد مفر منه، فما المانع من الموت وكلنا راحلون؟!

الموت راحة لكل من في الحياة.. موعد محدد.. لا يُحزن الموعود، ولكن ماذا عن أحباء من رحلوا.. هل يستطيعون النسيان، ولكن كيف يكملون الحياة وينسون من كانوا بالنسبة لهم الحياة..؟!

من كان هو لها معنى كل صباح.. من كان لها المسكن... المتعة.. وأيضًا الشقاء..

من فعل لها كل شيء تركها دون أي شيء..

تركها وحيدة.. دون حلم.. تحكي له عنه في نهار كل يوم جديد..

فكيف ستكون الحياة...؟!

***

بعد مرور عدة أسابيع...

في أحد بيوت حي التجمع الخامس كان علي جالس في الشرفة يستحي قهوته في وجوم وصمت طاغي، ليس على علي واحدة ولكن على الجميع..

الشوارع و الطرقات.. السيارات هادئة.. الأشجار جافة حتى الشمس لم تسطع بقوة رغم حرارة شهر يوليو الشديدة، والبيت.. البيت والبيوت المجاورة.. حالة من الوجوم..

علي صديقه الوحيد خليله، الظهر والسند، كان في حالة من الصمت و بالرغم من تصريحات الوفاة والإجراءات لم يصدق أن الحياة انتهت بهذه البساطة في غمضة عين..

- عارف يا صاحبي إيه الي بيهون عليا ساعات الشغل في البرد؟!

- إيه يا فارس باشا اللي مصبرك على الهنا اللي احنا فيه؟! حور العين ولا إيه؟!

- تصدق أنا غلطان إني بكلمك يا علي!

- يا صاحبي بهزر يا صاحبي بضيع وقت في الهنا اللي عجبك ده.

- مقولتش عاجبني قولت مصبرني.

- وإيه اللي مصبرك يا أبو فارس؟!

- اللي مصبرني أنت يا صاحبي، وجودك معايا بيحسسني إني محمي، إن لو استشهدت هلاقي حد في ظهري يشلني ويحمي جثتي.

- أنت بتقول كده ليه دلوقتي يا فارس ما احنا في أمان أهو؟!

ليظهر من العدم صوت خفخفة ضبع..

- ما بقولك أمان أنت اللي مش مصدقني.

ضحكا الصديقان سويًا وصوت الضحك يملأ الصحراء

سعادة وبهجة.

***

لم يبكِ على موت صديقه، لم يبكِ على جسده الملقى في الصحراء غارقًا في دمائه، ما أبكاه حق البكاء هو أنه شعر وبعد كل هذا العمر أنه لم يشبع من خيره، لم تمتلئ أذنه من أحاديثه المثمرة.

مات فارس ولكن سيرته لم تمت، كان يستحق الشهادة ومن أفضل منه يستحقها؟!

- إيه يا علي أنت بتعيط؟!

دخلت زوجته على صوت بكائه، وبالرغم من امتلاء بطنها بالمولودة المنتظرة جلست بجانبه وأخذت تريح رأسه على صدرها..

- عيط يا حبيبي ارتاح عيط عيط!

(٥)

"ربنا جعل من حكمته في كل أزمة بسمة.. وفي كل وقت صعيب أمل..

يحمينا و يقوينا.. و يمسك بلجام حكايتا لآخر نفس."

بعد مرور عدة شهور على وفاة الفارس كانت فريدة ما زالت في غرفتها، وحيدة لا تقدر على فعل شيء، كل شيء أصبح بلا حياة، وأين الحياة بعد رحيله؟!

في يوم من الأيام التي أصبحت معتادة و متكررة استيقظت فريدة من نومها، والغريب أنها تركت الفراش وذهبت ناحية خزانة الملابس، لا تعرف لماذا تفعل هذا لكن شيئًا ما جعلها تتقدم، وبالطبع فتحت الدرفة المخصصة لملابسه وظلت تقلب في الملابس تتحسس رائحته فيهم، وأثناء فعلها سقطت من إحدى القطع ظرف صغير مطوي مرتين، بالطبع أنه منه، وحين رأته ذهبت لتفتح الستار لجعل النور يساعدها على الرؤية..

"فريدة..

اليوم يا زوجتي أنا رحلت وأعلم أنني لم أعد...

فأنا في كل مرة أذهب أترك الجواب في المكان نفسه وعندما أعود بسلام أحتفظ به ليبقى مخبأ، وفي كل مرة عند الذهاب أضعه في مكانه مجددًا، أعلم اليوم أنكِ حزينة وبالطبع ليس اليوم فقط أعلم أن الخبر نزل على مسمعك كالصاعقة، لا أحتاج أن أعرفك جيدًا لأعرف هذا، فكل من لاحظ نظرتك إليّ سيعرف بحالك الآن.

ولكن يا زوجتي العزيزة، الحرة، العنيدة...

أنا من أخترتك لهذه المهمة...

أنا من راهنت عليكِ في حياتي لأكسب الرهان وأنا في قبري، راهنت أن القوة التي تتحلين بها لن تجعلك تنهزمين... وأن حبك لي وإيمانك بكلماتي لن يجعلك تتركيها...

فأقول لك يا زوجتي أعلم أن الحزن داخلك كبير... و لكن لست زوجتي من ستهزم..

فلو كان يوجد رمز للانتصار فهو أنتِ...

قلتِ لي ذات مرة أن ثقة المرء بخليله تجعل خليله يفعل

المستحيل فقط لكي لا يخذله... و ما بالك بثقتي بكِ!

مثل ما ثقت بكِ عند زواجنا بأنكِ من ستكونين أمًا لابني، فأنا أثق أنكَ لن تتركيه في الحياة بلا أب وأيضًا أم منهزمة....

أعلم أن الحياة بعد ذلك لن تكون بسهولة ما قبل، ولكن البطل الصغير يستحق..

فأرجوكِ دومي قوية أنتِ لم تكسري لي كلمة طول حياتي فلن تكسريها بعد ما رحلت..

أعديني يا زوجتي...

أعلم جيدًا أنكِ تقولين إني خلفت الوعد و رحلت دون سلام، ولكن أقسم لكِ إنه لو كان بيدي لما تركتك أبدًا أو على الأقل لمت بين أحضانك، ولكن كلنا نعلم أنه القدر..

وأقول لكِ ثانيًا إنني لم أخلف وعدي معكِ، فالشهيد يبقى حيًا في القلب..

و لذلك ما دام قلبك يسعني فأنا أحيا بكل فخر...

تركت الحياة ولكن كنت وسأظل حيًا في قلبك الجميل...

دمتِ يا زوجتي الونس و الفرحة.. دمتِ من تدخلي في حياتنا السرور..

و في آخر الخطاب لن أقول لكِ وداعًا أبدًا بل سوف أقول لِك كالمعتاد..

أحبك يازوجتي.

زوجك الشهيد،

فارس"

***

ما ابكى علي حقا ليس فقد صديقه ليس الموت ولا تأنيب الضمير، ما بكى عليه حقا أنه برغم من فعلته لم يشفي النار التي بداخله كل هذا لم يهدأ من روعه، النار ما زالت مشتعلة، قتل فارس لم يشعره بالانتصار على صديقه اللدود، لم يشعره بأنه الأقوى ما أحسه نار أكبر، وإحساسه بالضعف أمام فارس لم يقل بعد القتل.. بل زاد لدرجة يمكنها ابتلاع علي.

***

حينما ذهب فارس خلف صوت صديقه أثناء الواقعة، ساعد علي على التخلص من الحصار الذي كان به ونظر له نظرة انتصار لإنهاء هذا التعدي بخير، و لكن ما لم يكن طبيعيا أن علي وقف ينظر لفارس و لم يكن عليه غير التفوه بكلمات غير ملائمة للموقف

- فارس على فكرة احنا زي بعض؟! أنت مافكش حاجة زيادة عني، ينعل ابو الرتبة الأعلى الي مخلياك فاكر أنك فيك حاجة زيادة عني بطل الهبل اللي أنت فيه ده، من أيام الكلية وأنت شايف نفسك الأحسن والأشطر، على إيه؟! أنا مش عارف ليه، على إيه؟!

وقف فارس للحظات غير مستوعب لما يقوله صديقه، فهذا ليس الوقت ولا المكان الذي يسمح بهذا النوع من الحديث، فصمت فارس ووجوم وجهه أعطى الإشارة لعلي ليذهب وينهي هذا الموقف، ولكن عندما استدار علي من أمام فارس قال:

- على فكرة يا علي أنت هتفضل طول عمرك شايف نفسك أقل مني، وهتشوفني أنا الأحسن.. مش عشان أنا أحسن لا عشان أنت طول عمرك شايف نفسك قليل، شايف نفسك ناقص حتة.. الحتة دي عمرها ما هتكمل عارف ليه! عشان أنت ناقص يالا أهلك ربوك إنك ناقص.

التفت علي لكلام فارس بانتباه وغضب مبالغ..

- أنت شايفني كامل عشان أنا شايف نفسي كامل، إنما أنت عارف إن أنت ناقص.

أشعلت كلمات فارس الغضب في نفس علي وجعلته يتحول لشيطان يحرق كل من حوله..

هجم على فارس مباشرة وأسقطه على الأرض وأمسك برقبته على الفور محاولًا خنقه، لكن تفداه فارس وهو غير مصدق لما يفعله صديقه الوحيد..

- يا بني بتعمل إيه؟!

لم ينطق علي بكلمة وهجم على صديقه مجددًا ليخنقه مرة

أخرى، لم يحاول فارس الدفاع عن نفسه بقوة، فلم يصدق أن تكون نهايته ليست بيد أيٍّ من الأعداء، ويموت مختنقًا بيد صديقه الوحيد..

***

الغيرة والحقد الذي تملكوا علي وجعلوه يرتكب فعلته لم يشفو غليله، فبعد ما فعل لم يهده لم يشعر بالرضا، الحقد دعه لقتل أعز صديق له و لكن هذا لم يجعله الأقوى فبدون أي إدعاء للمثالية، فارس بالتأكيد مات.. قتل.

ولكنه مات شهيد بجنازة مشرفة..

أهل وحزن وفي الأول وفي الأخر خير..

زوجته غيرها الحزن و لكن على الاقل ضميرها حي سوف تعاني لن تستطيع النوم و لكن ستصبر و تحكي ليونس عن والده البطل فارس مات ولكنه مات بطل واقف يدافع عن بلده و زميله لأخر نفس ولكن من جعل الذنب يقتله هو علي، الذي مازال على قيد الحياة لكن بلا ضمير.

***

بعد مرور أعوام...

الساعة التاسعة صباحًا..

في إحدى شواطئ شرم الشيخ كان زفاف يونس الصغير الذي لم يعد صغيرًا، من كان لأمه الونس ولوالده السند وللجميع ابتسامة، يتزوج اليوم من بسمة حياته ليجلب لأمه الوحيدة الونس والبسمة أيضًا، ويمد نسل الأبطال بالسعادة والأمل، بوجود الورد الأبيض على الجانبين بالطريقة المصطنعة وحضور عدد كبير من الأصدقاء و الأقارب، بفستان أبيض خفيف تزينه ورود صغيرة من على الكتفين وبدلة رمادية اللون وقميص أبيض بلا ربطة عنق، كانت بسمة ويونس يتممان مراسم الزواج السعيد والحب يملأ المكان والزهور تطير في الهواء، وأخيرًا تمت الزيجة على نجاح ليبدأ سويًا الطريق.

إن مرور السنوات لم تجعل فريدة تنسى ما حدث، ما

حدث سيظل خالدًا في ذكراها أمد الدهر، وبالرغم من أن للسنوات وظيفة رئيسية وهي النسيان والتلاهي في تخبطات الحياة الأخرى، إلا أن السنوات لم تساعد فريدة إلا على التذكر وانشغالات الحياة كان عملها الوحيد هو استذكار فارس في كل موقف ولحظة.. موت فارس جعل فريدة بعد كل هذه السنوات تتيقن أن الإنسان لا يعيش بعدد السنوات ولا المال والإرث..

ما يجعل الإنسان خالدًا فعلًا في الحياة هو الذكريات معه، ففي كل موقف مرَّت به تذكرته وهو بجوارها في موقف مشابه..

بجوار ساحة الرقص كانت فريدة ماكثة في الطاولة بالجوار، أنهكها العمر فلن تكن تقدر على الوقوف والرقص واكتفت بالجلوس و مشاهدتهم يرقصان لتستعيد ذكريات الماضي وتبتسم ابتسامة من داخلها..

- العيال كبروا يا فريدة.

- أنتِ هتقوليلي كبروا وكبرونا معاهم.

- لا sorry talk about yourself

- I will always be young

- ييه ماشي يا ستي.

- كل السنين دي مغيرتكيش.

- قوليلي علي بيدفع النفقة ولا لسه؟!

- يوه أنتِ مصرة انهاردة تنكدي علينا please تسكتِ شوية بقى! احنا في فرح، ملكيش دعوة باللي ميتسماش ده قولتلك.

- خلاص خلاص يا خرابي عليكِ أنا غلطانة يا ستي مش هفتح بقى تاني.

جواب النهاية..

على أنغام موسيقى "امتى الزمان يرجع يا جميل لعمر خيرت.."

القصة اكتملت لحد كبير اللي مات كان بطل ساب وراه أم هي كمان بطلة..

لو كان سابلها حاجة أخيرة قبل ما يمشي هي إنها علمها تكون قوية، على مدار السنين بينهم والظروف اللي جمعتهم.. هو شاف فيها الطيبة والحنية - حتى لو ده مكانش باين - وهي شافت فيه الأمان اللي هي محتاجاه و في نفس الوقت خايفة منه.

والكلب راح راح لداهية.. والداهية اللي راحها هي دماغه.. وللأسف وبكل الامتنان ما اذاش حد غير نفسه وما استفدش من الغدر غير الكسرة ولو كان حاسس في

يوم إنه أقل حس بعد اللي عمله إنه معدم.

والطيبة نجيت حتى ولو بعد حين..

نجيت بقلبها اللي السواد مقتلوش زي ما قتل أقرب الناس ليه..

السواد للأسف مقتلش غير نفسه.

والأمل عاش عاش ما بين اتنين كبروا سوا ولو كان الجرح علمهم حاجة فهو علمهم الحنية..

علمه القوة وعلمها الوفاء..

لأن الموت في ذاته مش وحش.. الوحش في الموت هو المفاجأة..

هو اكتشاف إنك بقيت بلا هوية، والنجاة منه إنك تكتشف إن لسه للحكاية بقية..

بقية مكملة مع ناس تتحب والقرب منها لوحدة نجاة.

تمت.

شكر خاص

الي الكاتب.. العظيم.. محمد صادق

إليك اول كتابتي فأنت علمتني الكثير دون أن تدري.. دون أن تعرف بوجودي من الأساس.. أنت أبي الروحي (دون ان تدري ايضاً).. علمتني الكثير من خلال كتاباتك

اقول لك اليوم من خلال رؤيتي أنه بدون الخيال ما كان الشغف و بدونك أنت ماكنت أنا.. بهذا الشكل.

شكرًا..

للتواصل مع الكاتب

ولإبداء الرأي سواء بالإيجاب أو السلب..

دومًا ساكون ممتنة.

أنستغرام: habibaakordy

فيس بوك: Habiba Elkordy

إيميل: habibaelkordy10@gmail.com